

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_234895

UNIVERSAL
LIBRARY

١٣٥٤
٦١٥١



٦١٥١

كتاب

Checked 1965

٥٢٠٠٠

تاريخ الجهمية والاعتزلة

١٠٩

٥٠

تأليف

الاستاذ العالم العامل البجاعة

عالم الشام

CHECKED 1965

الشيخ جمال الدين القاسمي دمشقي

نشر في المجلد السادس عشر من مجلة المنار

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة لمجلة المنار

كتاب

تاريخ الجهمية والمعتزلة

تأليف

الاستاذ العالم العامل البجاعة

عالم الشام

﴿ الشيخ جمال الدين القاسمي دمشقي ﴾

نشر في المجلد السادس عشر من مجلة المنار

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة لمجلة المنار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا بحث جمع من تاريخ الجهمية والمعتزلة ما يحق ان ياخذ نفسه بحقيقته من أنعم عليه بشرف المنزلة، وفضل بالادب والعلم، والاخذ من الفنون بسهم دعائي الى العناية به ما رأيت — لما أفضت بنا النوبة في قراءة صحيح البخاري الى « كتاب التوحيد والرد على الجهمية » — أن كلام الشراح عليه موجز ، وان ليس في الايدي كتاب جمع تاريخهم وأحرز جمعت ما تيسر من شؤونهم ، ثم أشفعت بطرف من أخبار المعتزلة لتوافق الفرقتين في معظم المسائل المعروفة عنهم ، وفي تلقيب كل غالباً بلقب الاخرى

كثير ما يمر بقارئ التفاسير وشروح السنة ومؤلفات أصول الدين والفقهاء ومطولات التاريخ وكتب المقالات ذكر (الجهمية والمعتزلة) ذلك لانهما كانتا اول من ظهر من الفرق الاسلامية في صدر حضارة الاسلام بقواعد الاصول ، والعمل على الجمع بين المنقول والمعقول ، وفتح لأولي العلم باب النظر والتأويلات ، وانتصب للمجادلات والمناظرات ، وزحزح الواقفين عند ظواهر الرواية، الى منازل تأويل الدراية، وأشاع في الخافقين الآراء الغريبة في أصول الدين ، وفي تأويل آيات الصفات في الكتاب المبين ، بله ما تنفق لبعض الجهمية من اخافة امراء زمانهم بالخروج على عمال بني امية الظالمين ، وانكارهم لاعمالهم الجائرة ، ونصبهم الحروب معهم

الأعوام المتطاولة، رغبة في تحكيم الكتاب والسنة والتقريب من الشورى كما سنقصه، ولله أمر التاريخ فانه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها! .
 قد يظن اننا نريد الكلام على الجهمية والمعتزلة من جهة عقائدهم ومحاملتهم فيما لها وعليها، -كلا! فقد حكاهما أرباب المقالات والمصنفون في الملل والنحل، ما بين عادٍ لها فحسب، وما بين عادٍ وراذٍ، وهكذا كبار المتكلمين، وجهابذة السلفيين، في مؤلفات لا يبلغها الإحصاء، لاسباب المطولات منها^(١)

لا يزال الحوار بين هاتين الفرقتين ومن خالفهما غضا طريا كلما سنحت مسائلهم، وما أكثر سنوحها للمفسر والمحدث والمتكلم والاصوليّ - ذلك بان مسائلهم متشعبة من وجوه ما يراد بالآيات والاخبار المأثورة في أبواب مسائلها، وهي مرجع المستدلين كل حين
 نعم أشرنا الى جمل من عقائدهم تنميا للمقصد من التعريف بأحوالهم، الا ان المقصد هو سرد ما أورده المؤرخون من الحوادث التاريخية والوقائع التي جرت من جرّأهم .

(١) منها كتاب « تلبيس الجهمية ، في تأسيس بدعهم الكلامية » ويسمى « تخلص التلبيس ، من كتاب التأسيس » للإمام ابن تيمية . ومنها كتاب « الصواعق المنزلة ، على الجهمية والمعطلة » للإمام ابن القيم . وكتاب « البيان ، عن أصول الايمان ، والكشف عن تمويهات أهل الطغيان » تأليف أبي جعفر السمناني البغدادي المالكي صاحب القاضي أبي بكر الباقلاني، رأيت في مكتبة المدرسة العثمانية بحلب أيام رحلتي اليها عام (١٣٣٠) وهذا الكتاب مخطوط عام (٦٨٣) ومعه كتاب « حز الغلام في احكام المحاصم » - عند جريان النظر ، في أحكام القدر ، وكتاب « تحرير التنزيه ، وتحرير التشبيه » للإمام أحمد بن محمد الاسكندراني المالكي وكلها في الرد على المعتزلة لكن بقواعد الخلف

وما عدا ذلك فأنما ذكر تكميلا ايقاظا واعتبارا ، ولا غرو فهذا
 البحث من المباحث الضافية الذبول ، الواسعة الانواع
 وهذا تفصيل ما تضمنته المقالة في دائرة بحثين :

﴿ البحث الاول في الجهمية وفيه مطالب ﴾

- ١ من هي الجهمية ؛
- ٢ ذكر الجهم زعيم الجهمية
- ٣ خروج الجهم مع الحارث بن سريج على بني امية ، ودعوتها الى
 الكتاب والسنة والشورى
- ٤ مقتل الجهم بن صفوان والحارث بن سريج .
- ٥ من وهم في عام قتل جهم وسببه وتصحيح ذلك
- ٦ فلسفة جهم (أو مذهبه) في الاصول ، وتأثيره في العقول
- ٧ مناظرة الجهم مع بعض السمنية واخامه اياه ، وما علق على هذه المناظرة
- ٨ تلقيب الجهمية بالجبرية
- ٩ التنبيه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية وغيرهم
- ١٠ تمثل الشعراء بمذهب الجهمية
- ١١ بيان ان مذهب الجهم متلقى عن الجعد بن درهم ، وشيء من أبناء
 الجعد وقتله
- ١٢ نبذة من أخبار خالد بن عبد الله القسري قاتل الجعد استاذ الجهم
- ١٣ حمل الاثرية على الجهمية والاعراء بهم
- ١٤ رأي الاثرية في الجهمية
- ١٥ رأي الجهمية في الاثرية

- ١٦ تفريط الجهمية في السمع ، وسواهم في العقل .
 ١٧ بيان ان انقسام الناس الى التجهم ، يشبه انقسامهم الى التشيع
 وذلك ثلاث درجات

﴿ البحث الثاني في المعتزلة وفيه مطالب ﴾

- ١ التعريف بالمعتزلة
 ٢ سبب تقييهم المعتزلة
 ٣ تلقيب المعتزلة بالجهمية
 ٤ انتشار مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة
 ٥ ظهور دولة الجهمية (المعتزلة) في عهد المأمون ودعواه الى منتهبهم
 وما جرى على أئمة الرواية في مسألة خلق القرآن
 ٦ أول من صنف من المعتزلة في محاجة الاثرية
 ٧ تلقيب المعتزلة بالقدرية وسبب التسمية بذلك
 ٨ أول من تكلم في القدر
 ٩ رجال الجهمية والمعتزلة (القدرية) ممن روى لهما الشيخان البخاري
 ومسلم في صحيحهما
 ١٠ بيان ان الجهمية والمعتزلة لهم مالمجتهدين
 ١١ شبهة الاثرية في اضطهاد الجهمية ، والجهمية في اضطهاد الاثرية
 لما دالت لكل الدولة ، وفيه اعتذار بقلم الجاحظ
 ١٢ ما نتج من تعصب الجهمية والاثرية وبيان آفة الغلو في التعصب
 ١٣ حظ الأئمة المحققين رمي فرق المسلمين بالكفر والفسق
 ١٤ بيان انه لا تضليل ، لمن أصاره اجتهاده الى التأويل

١٥ ماوصى به الأئمة من اطراح أقوال العلماء بعضهم في بعض ، ومن التماس الحكمة أينما وجدت

هذا ماقدر جمعه على ضيق الوقت في بضعة شهور ، وراجعت لاجله عدة أسفار ، واقتبست ألطف ماأثر عن الكبار ، ولم تكن موالاة البحث والتنقيب ، باشق من العناية بالتنقيح والترتيب ، بيد ان التذرع للحقائق يستسهل دونه كل صعب ، ولا لذة تضاهي لذة العلم والحكمة واستنارة القلب ، والفضل لله سبحانه فيما هدى وألهم ، فلا نحصي ثناءً عليه نسأله ان يعلمنا ما لم نكن نعلم

❖ البحث الاول في الجهمية وفيه مطالب ❖

(١) من هي الجهمية ؟

الجهمية فرقة من فِرَق المسلمين ، أتت مذهب الجهم بن صفوان الآتي ذكره في مسأله المدونة في كتب المقالات والكلام . ثم توسعت بعد ذلك شأن المذاهب كلها التي استفحل أمرها ، وكثرت رجالها ، وتفرعت مسالكها ، وتنوعت مصنفاتها ، ولم تك قبل على شيء منها . وقد يظن انها أمست أثراً بعد عين ، ومع ان المعتزلة فرع منها ، وهي في الكثرة تعدت بالملايين على ماستعرف ، على ان المتكلمين المتأخرين المنسويين للاشعري يرجع كثير من مسألتهم الى مذهب الجهمية ، كما يديره المتبحر في فن الكلام ، والموازن بين أقوال هؤلاء وأقوال الساف ، ولذا قلنا في المقدمة قبل : ان الخلاف بين الجهمية وغيرهم لا يزال غضا طريبا كلما سنحت مسألتهم . ولعل لقب الجهمية غاب على المعتزلة من عهد المأمون كما سنوضحه ، والله أعلم

(٢) ذكر الجهم زعيم الجهمية وطرف من أنبائه

الجهم **بَهْدًا** : هو ابن صفوان ، من أهل خراسان ، ينسب إلى سمرقند وترمذ ، ومحمد الكوفة . ويكنى أبا محرز . وكان مولى لبني راسب من الأزد . أخذ الكلام عن الجهم بن درهم ، وكان فصيحاً . اتخذ الحارث ابن سريج التيمي - أيام قيامه بخراسان - كاتباً له كما سنفصله ، وكان يقص في بيت الحارث في عسكره وكان يخطب بدعوته وسيرته ، فيجذب الناس إليه ، وكان يحمل السلاح ويقاوم معه ، وكان صاحب مجادلات ومخاصمات في مسائل الكلام التي يدعو إليها . وكان أكثر كلامه في الآهيات

يقول بعض من أرخه : لم يكن لجهم نفاذ في العلم ، يعي بالعلم علم الحديث والآثار فإن الجمهور كان منكبا على تحمل الحديث وآثار الصحابة ومروياتهم ، الأئمة المتكلمين ، وفي مقدمتهم الجهم واخوانه ، فلم يكن لهم عناية برواية الحديث ولا تحمله . وكانوا يرون العلم ما هم فيه من علم الكلام ، ولذا كانوا يلقبون بحملة الآثار بالحشوية ، - كما سيأتي

أول ظهور مذهب جهم كان بترمذ ، فإنه أظهره فيه للملا وأشاعه وحاور فيه . ثم أقام ببلخ ، فكان يصلي منع مقاتل بن سليمان في مسجده . ثم نفي إلى ترمذ . ولما انصل بالحارث بن سريج لم يزل معه إلى أن قتلاه - كما سنفصله

هذا ما قاله الأئمة من مجمل حال الجهم بن صفوان كالامام أحمد في كتاب الرد على الجهمية ، والبخاري في كتاب خلق الأفعال ، والطبري في تاريخه ، والامام ابن حزم في الفصل ، وابن عساكر وابن الأثير في تاريخيهما ، وابن حجر في الفتح (قلت) ومقاتل بن سليمان الذي

كان يصلي في مسجد الجهم ، هو مقاتل البلخي المفسر المشهور الذي قال فيه الشافعي : الناس عيال في التفسير على مقاتل . وحكى العباس ابن مصعب في تاريخ مروءة - ان مقاتلا كان يقص في الجامع بمرو ، فقدم جهم جلس الي مقاتل ، فوعدت العصبية بينهما ، فوضع كل منهما على الآخر كتابا ينقض عليه (١)

وعن أبي حنيفة رحمه الله قال : افراط جهم في نفي التشبيه ، حتى قال : انه تعالى ليس بشيء . وافراط مقاتل في معني الاثبات حتى جعله مثل خلقه : نقله الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) وفي حكاية العباس ابن مصعب ما يدل على ان الجهم كان من المؤلفين في مذهبه

(٣) خروج الجهم مع الحارث بن سريح على أمراء بني أمية ، ودعوتهما (الى الكتاب والسنة والشورى)

يرى بقارىء حوادث المائة الثانية للهجرة النبوية أخبار عن الحارث ابن سريح عجيبة تدل على حرصه على نشر العدل ، وتحرره من الظلم وأهله ، ورغبته في العمل باحكام الكتاب والسنة ، وفي القضاء على سلطة الاستبداد وجعل الامر شورى ، وان نصبه الحرب مع بني أمية ، واتخاذ الجهم بن صفوان وزيراً في بث الدعوة كتابية وخطابة ، انما كان لهذه المقاصد الحسنة وملخص ما ذكره الطبري وابن الاثير وابن خلدون ان الحارث هذا كان عظيم الازد بنجراسان (١٢) ، وانه خلع سنة (١١٦) ولبس السواد ،

(١) لو أبت الايام لنا كتابي مقاتل والجهم ، لو قفنا على حقائق مذهب الجهم بما تفوق المنعمات عنه بمراتب . فوالأسفاه على ما طوته الاعصار ، من مثل هذه الآثار
(٢) أيام كانت فيالق العرب متغلغلة في احشاء بلاد فارس والديلم والحزر

ودعا الى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والبيعة للرضا . وأنكر سيرة هشام بن عبد الملك وأعماله ، ونزل الفارياب وأتى بلخ واستولى عليها وأقام بها عاملا ، وسار الى الجوزجان وغلب عليها وعلى الطالقان ومرو الروذ . ثم أقبل الى مرو (بيضة خراسان) في ستين ألفا ومعه فرسان الازد وتيم ودهاقين بلاد العجم . واقتتلوا مع أمير مرو قتالا شديداً ، حتى انهزم أصحاب الحارث ، ولم يبق معه الا زهاء ثلاثة آلاف ، ثم عاد الحارث الى بلاد الترك ، وأقام بها اثنتي عشرة سنة ، ثم روى بالعود الى خراسان ، فأخذ الامان وعاد سنة (١٢٦) ولما قدم مرو لقيه الناس بكشميين قال لهم : ماقرت عيني منذ خرجت الى يومي ههنا ، وما قررت عيني الا ان يطاع الله

قال ابن جرير الطبري : كان الحارث بن سريج يجلس على برذعة وتثني له وسادة غليظة . ولما لقيه نصر بن سيار وأنزله أجرى عليه كل يوم خمسين درهما ، فكان يقتصر على لون واحد ، وطلق أهله وأولاده ، وعرض عليه نصر ان يوليه ويعطيه مائة الف دينار ، فلم يقبل ، وأرسل الى نصر « اني لست من هذه الدنيا ولا ممن هذه اللذات ولا من تزوج عمائل العرب في شيء ، وانما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل ، فان فعلت ساعدتك على عدوك »

وقال الحارث لنصر « خرجت من هذه المدينة - مرو - منذ ثلاث عشرة سنة انكارا للجور وانت تريدني عليه »

هذا كلام الحارث في مشربه نفسه وفي رأيه في سياسة الشعب ، وصدعه في

وجوه اصلاحه، وبه يعلم منزلة عقله ونبله وفضله، وغيرته وتقواه، رحمه الله

*

(٤) مقتل الجهم والحارث وما أفضى من الوقائع إليه

في سنة ١٢٨ ولي ابن هبيرة العراق، فكتب الى نصر بن سيار بعهدده على خراسان، وطلب البيعة لمروان بن محمد بن مروان، فأبى الحارث وقال: إنما أمني يزيد بن الوليد ولم يؤمني مروان، ولا يجيز مروان أمان يزيد فلا آمنه. فخالف نصراً، فأرسل إليه نصر يدعو به الى الجماعة وينهاه عن الفرقة واطماع العدو، فلم يجبه الى ما أراد، وخرج فمسكر وأرسل الى نصر: اجعل الامر شورى، "فأبى نصر، وأمر جهم بن صفوان أن يقرأ سيرته وما يدعو اليه على الناس، فلما سمعوا ذلك كثروا وكثر جمعه، وأرسل الحارث الى نصر ليعزل سالم بن أحوز عن شرطته ويغير عماله ويقر الامر بينهما أن يختاروا رجلاً يسمون لهم قوماً يعملون بكتاب الله، فاختار نصر مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان. واختار الحارث المغيرة بن شعبة الجهضمي ومعاذ بن جبلة. وأمر نصر كاتبه أن يكتب ما يرضي هؤلاء الاربعة من السنن، وما يختارونه من العمال، فيؤليهم ثغر سمرقند وطخارستان

وعرض نصر على الحارث أن يوليه ما وراء النهر ويعطيه ثلاثمائة الف فلم يقبل. ثم تراضيا بأن حكما جهم بن صفوان ومقاتل بن حيان، فحكما « بأن يعزل نصر وأن يكون الامر شورى » فلم يقبل نصر، فخالفه الحارث وقدم على نصر جمع من أهل خراسان -- حين سمعوا بالفتنة --

(١) هذا ما عنيناه قبل من حرصه على الشورى وبتر الاستبداد

وأمر الحارث أن تقرأ سيرته بالاسواق والمساجد وعلى باب نصر، فقرئت فأتاه خلق كثير، وقرأها رجل على باب نصر، فضربه غلمان نصر فنادهم الحارث وتجهزوا للحرب

ودل رجل من أهل مرو الحارث على نقب في سورها، فمضى الحارث إليه ونقبه ودخل البئذ وقاتل من وقف في وجه جماعته، وانهبوا منزل سلم بن أحوز، وركب سلم حين أصبح وأمر منادياً فنادى: من جاء برأس فله ثلثمائة، فلم تطلع الشمس حتى انهزم الحارث وقاتلهم الليل كله، وأتى سلم عسكر الحارث فقتل كاتبه وأسمه يزيد بن داود وأسر يومئذ جهم بن صفوان فقال لسلم: ان لي ولياً من ابنك حارث. فقال: ما كان ينبغي له أن يفعل، ولو فعل ماأمنتك، ولوملأت هذه الملاءة كواكب وأبراك الي عيسى بن مريم مانجوت، والله لو كنت في بطني لشققت بطني حتى أقتلك، والله لا يقوم علينا من اليمانية (١) اكثر مما قتت، فقتله

ثم غلب الكرماني على مرو، وخطب الناس فأمنهم، وهدم الدور ونهب الاموال فأنكر الحارث عليه ذلك، ثم أتى الحارث مسجد عياض وأرسل الى الكرماني يدعوه الى أن يكون الامر شورى، فأبى الكرماني فانتقل الحارث عنه، ثم اقتتل معه حتى قتل الحارث وأخوه وعدة، وذلك سنة ١٢٨ هذا مجمل مارواه الثقات في سبب مقتل جهم ومخدومه الحارث، وبه يعلم ما كانا عليه من الحرص على اقامة أحكام الكتاب والسنة، وجعل الامر شورى، وابعاء الانهاس في امره الظالمين، ورفض اعطيائهم والعمل لهم

(١) فيلق من فيالق العرب كان مرهوب المقام مخشى الخروج عليهم.

ومن تأمل بما قص يعلم ان قتل جهم انما كان لامر سياسي لا ديني ، وقد صرح بذلك سلم (رئيس شرطة نصر) قاتله بقوله : والله لا يقوم علينا من اليمانية اكثر مما قت ، فتفطن ولا تكن أسير التقليد

*

(٥) من وهم في عام قتل جهم وسيدته وتصحيح ذلك .

قدمنا ان مقتل جهم كان عام ١٢٨ كما حكاه الطبري وغيره . وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : أسند أبو القاسم اللالكائي في كتاب السنة له ان قتل جهم كان في سنة ١٣٢ (قال) والمعتمد ما ذكره الطبري انه كان في سنة ١٢٨) وذكر ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن رحمة صاحب أبي اسحق الفزاري ان قصة جهم كانت سنة (١٣٠) (قال) وهذا يمكن حمله على جبر الكسر ، أو على ان قتل جهم تراخى عن قتل الحارث بن سريج (ثم قال) وأما القول بأن قتل جهم كان في خلافة هشام بن عبد الملك فوهم ، لان خروج الحارث بن سريج الذي كان جهم كاتبه كان بعد ذلك . ولعل مستند القول به ما أخرجه ابن أبي حاتم من طريق صالح بن أحمد ابن حنبل ، قال : قرأت في دواوين هشام بن عبد الملك الى نصر بن سيار عامل خراسان : أما بعد فقد نجم قبلك رجل يقال له جهم من الدهرية فان ظفرت به فاقتله (قال ابن حجر) ولا يلزم من ذلك أن يكون قتله وقع في زمن هشام ، وان كان ظهور مقالته وقع قبل ذلك حتى كاتب فيه هشام والله أعلم ولا يخفى ان نيز هشام - لجهم بأنه من الدهرية - في كتابه هذا - ان صح - انما أراد به زيادة الاغراء بقتله ليكون حجة له ، وتمويهاً على العامة ، ومن لا يدري حقيقة الامر في هدر دمه . وقد علمت ان الباعث

على قتله أمر سياسي محض ، لان جهما كان خطيب الحارث وقارئ كتبه في الجامع ، والداعي الى رأيه والى الخروج معه على بني أمية وعمالهم ، لسوء سيرتهم وقبح أعمالهم وشدة بغيتهم كما أثرناه قبل ولا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل ان الدهرية لا يقرون بالوهية ولا نبوة . وجهم كان داعية للكتاب والسنة ، ناقما على من انحرف عنهما ، مجتهدا في أبواب من مسائل الصفات ، فكيف يستحل نبزه بالدهرية وهي اكفر الكفر! ومن هنا يعلم أن لا عبرة بنز الامراء والملوك من ينقم عليهم سيرتهم بالانقلاب السوءى ، والتاريخ شاهد عدل ، وليس القصد التحزب لجهم والدفاع عن مذهبه وآرائه ، كلا ! فأنا أبعد الناس عن التحزب والتعصب والتقليد ، ولكن الانصاف يدعو أن يذكر المرء بماله وما عليه اذا أريد درس حياته ومعرفة سيرته ، وذلك ما توخينا هنا

*

(٦) فلسفة جهم (أو مذهبه) في الاصول ، وتأثيره في العقول

قد حكى مذهب جهم وفلسفته أرباب المقالات والمصنفون في الملل والنحل ، وكذا في كتب الكلام المطولة ، وفيما صنف لارد عليه وعلى أتباعه الجهمية

مرجع فلسفته ، وخلاصة مذهبه - : هو تأويل آيات الصفات كلها والجنوح الى التنزيه البحت ، وبه نفى ان يكون لله تعالى صفات غير ذاته ، وان يكون مرثيا في الآخرة ، وان يتكلم حقيقة . وأثبت ان القرآن مخلوق هذه أشهر مسائل جهم التي يقال لها (مقالة الجهمية) وله من الآراء سوى ذلك ، كالقول بنفي جهة العلو ، والقول بالقرب الذاتي ، وانه تعالى

مع كل أحد ذاته كما حكاها الرازي الحنفي في كتابه (حجج القرآن) عن
الجهمية ، وأورد أدلتهم من الكتاب والسنة فانظره

كان من أعظم شبههم في باب الصفات اعتقاد أن ظاهرها يفيد التشبيه
بالمخلوق أي ان ما يفهم من نصوصها يماثل ما يفهم من صفات المخلوق ،
فظاهر معناها التمثيل ، وهو مستحيل ، فيجيب التأويل .

وقد رد عليهم بان الظاهر المفهوم لو كان المراد به خصائص صفات
المخلوقين حتى يشبه المولى بخلقه ، لما خالف أحد في رده ونفيه ، لأن هذا
ليس مرادا بالاتفاق ، — للقطع بأنه تعالى ليس كمثل شيء ، لا في ذاته ولا
في صفاته ولا في أفعاله ، الا ان هذا ليس هو ظاهرها ، وإنما ظاهرها
ما يليق بالخالق تعالى . وليس في العقل ولا في السمع ما ينفي هذا .
والصفة تتبع موصوفها ، فكما ان ذاته المقدسة ليست كذوات المخلوقين
فكذلك صفاته

بهذا يقرب الامر من رفع الخلاف^(١) اذ الظاهر عند خصوم الجهمية
غيره عندهم ، فانفكت الجهة . وللإمام ابن دقيق العيد تقريب آخر قرره
في ذلك حيث قال : المنزهون بالله عن سمات الحدوث ومشابهة المخلوقات
بين رجلين : اما ساكت عن التأويل واما متأول (ثم قال) والأمر في
التأويل وعدمه في هذا قريب عند من يسلم التنزيه . فانه حكم شرعي أعني
الجواز وعدمه . فيؤخذ كما يؤخذ سائر الاحكام . الا ان يدعي مدع ان
هذا الحكم ثبت بالتواتر عن صاحب الشرع — أعني المنع من التأويل — ثبوتاً

(١) قد بسط الكلام في مسألة الظاهر الامام ابن تيمية في كتاب التسمينية صفحة
(١٢٢) من المجلد الخامس من فتاويه المطبوعة ، وكذا في الرسالة المدنية المطبوعة
في الهند في امرتسر

قطعيًا . نخصمه يقابله حينئذ بالمنع الصريح . وقد يتعدى بعض خصومه الى التكذيب القبيح بالمنع الصريح اه

قال العلامة المقبلي في العلم الشاخص - بعد نقله ذلك - ونعم ما قال - « وتقريب مسافة الخلاف بين الفريقين كان يمكن بمثل هذين التقريبين وغيرهما : لولا تعصب الحزبين كما سنبينه في آفة التعصب »
وبالجملة فتأثير مذهب الجهمية في الافكار، انما كان بتنبئها الى التأويل، وسلوك منهج المجاز في تلك المسائل، ركان هذا الباب موصدا قبلها، لا يطره أحد ولا يخطر له

ثم درج المعتزلة على أثر الجهمية، قال الغزالي في الاحياء - مشيراً اليهم - فمن مسرف^(١) في رفع الظواهر، انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها، حتى حملوا قوله تعالى وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم « وقوله تعالى « وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » وكذلك في الميزان والصراف والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة في قولهم : « أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله » - زعموا أن ذلك كله بلسان الحال (ثم قال الغزالي) وأولوا من صفاته تعالى الرؤية وأولوا كونه سميعاً بصيراً، وأولوا المعراج وزعموا انه لم يكن بالجسد، وأولوا عذاب القبر،^(٢) وجملة من أحكام الآخرة، وليكن أقرؤا بحشر الاجساد، والجنة واشتمالها على الملاذ المحسوسة، وبالنار وباشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود « اه

(١) سيأتي بيان انقسام الناس في التجهم بأبسط مما هنا (٢) سيأتي للمقبلي رد كون المعتزلة تنكر عذاب القبر في البحث ٩ من التنبيه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية الخ

(٧) مناظرة الجهنم مع بعض السمنية وإخامه اياه ، وما علق على هذه المناظر ﴿
روي أن الجهنم لقي بعض السمنية^(١) الخصمين ، فقال له السمني :
أريد مناظرتك ، فان ظهرت حجتي عليك دخلت في ديني ، وان ظهرت
حجبتك علي دخلت في دينك ، فكان مما كلم به الجهنم أن قال له : أأنت
تزعم أن لك إلهاً ؟ قال الجهنم : نعم ، فقال له : فهل رأيت إلهك ؟ قال : لا ، قال
فهل سمعت كلامه ، قال لا ، قال فشممت له رائحة ؟ قال لا ، قال فوجدت
له حساً ؟ قال : لا ، قال : فوجدت له مجساً ؟ قال لا ، قال فما بدريك انه
إله ؟ فأخذ الجهنم في حيج السمني بمثل حجته ، فقال له : أأنت تزعم أن فيك
روحاً ؟ فقال : نعم ، قال : فهل رأيت روحك ؟ قال لا ، قال فسمعت كلامه ؟
قال لا ، قال فوجدت له حساً ؟ قال لا ، قال : فكذلك الله لا يرى له
وجه ولا يسمع له صوت ، ولا يشم له رائحة ، وهو غائب عن الابصار
ولا يكون في مكان دون مكان

هذا ما حكاه الامام أحمد في الرد على الجهمية أثرناه باختصار وقوفاً
على موضع الشاهد من فطنة جهنم وبلاغته في إخامه خصمه

قال الامام ابن تيمية في التسعينية - بعد حكاية ذلك : لما ناظر الجهنم
من ناظره من المشركين السمنية من الهند الذين جحدوا الاله ، لكون
السمني لم يدركه شيء من حواسه ، لا يبصره ولا يسمعه ولا يشمه
ولا بدوقه ولا يحسه ، كان مضمون هذا الكلام ان كل ما لا يحسه
الانسان بحواسه الخمس فانه ينكره ولا يقرب به ، فاجابهم الجهنم انه قد يكون

(١) بضم السين المهملة وفتح الميم قوم في الهند دهبون

في الموجود مالا يمكن احساسه بشيء من هذه الحواس وهي الروح التي في العبد، وزعم انها لا تختص بشيء من الامكنة. وهذا الذي قاله هو قول الصابئة الفلاسفة المشائين

(ثم قال ابن تيمية) : والحجة التي ذكرها مشركو الهند باطلة، والجواب الذي أجاب به الجهم باطل، وذلك ان قول القائل مالا يحس به العبد لا يقرّ به أو ينكره، اما ان يريد به ان كل أحد من العباد لا يقر الا بما أحسه هو بشيء من حواسه الخمس، أو يريد به انه لا يقر العبد الا بما أحس به العباد في الجملة، أو بما يمكن الاحساس به في الجملة. فان كان أراد الاول، - وهو الذي حكاه عنهم طائفة من أهل المقالات، حيث ذكروا عن السمنية انهم ينكرون من العلم ما سوى الحسيات، فينكرون المتواترات والمجربات والضروريات النقلية وغير ذلك، الا ان هذه الحكاية لا تصح على اطلاقها عن جمع من العقلاء في مدينة أو قرية. وما ذكر من مناظرة الجهم لم يدل على اقرارهم بغير ذلك، وذلك ان حياة بني آدم وعيشهم في الدنيا لا يتم الا بمعاونة بعضهم لبعض في الاقوال أخبارها وغير أخبارها وفي الاعمال أيضاً، فالرجل منهم لا بد ان يقر انه مولود، وان له أباً وطىً أمه، وأماً ولدته، وهو لم يحس بشيء من ذلك بحواسه الخمس، بل أخبر بذلك ووجد في قلبه ميلاً الى ما أخبر به، وكذلك علمه بسائر أقاربه من الاعمام والاقوال والاجداد وغير ذلك، وليس في بني آدم امة تنكر الاقرار بهذا. وكذلك لا ينكر أحد من بني آدم انه ولد صغيراً، وانه ربي بالتغذية والحضانة ونحو ذلك حتى كبر، وهو اذا

كبر لم يذكر احتياسه بذلك قبل تمييزه ، بل لا ينكر طائفة من بني آدم امورهم الباطنة مثل جوع أحدهم وشبعه ، ولذته وألمه ، ورضاه وغضبه ، وحبه وبعضه ، وغير ذلك مما لم يشعر به بحواسه الخمس الظاهرة ، بل يعلمون ان غيرهم من بني آدم يصيبهم ذلك ، وذلك مما لم يشعروا به بالحواس الخمس الظاهرة ، وكذلك ليس في بني آدم من لا يقتر بما كان في غير مدينتهم من المدائن والسير والمتاجر وغير ذلك مما هم متفقون على الاقرار به ، وهم مضطرون الى ذلك . وكذلك لا ينكرون ان الدور التي سكنوها قد بناها البناءون ، والطبيخ الذي يطبخونه طبخه الطباخون ، والشباب المنسوجة التي يلبسونها نسجها النساجون ، وان كان ما يقرون به من ذلك لم يحسه أحد بشيء من حواسه الخمس . وهذا باب واسع ، فمن قال ان امة من الامم تنكر هذه الامور ، فقد قال الباطل

وقول من يقول من المتكلمين : ان السوفسطائية قوم ينكرون حقائق الامور ، وانهم منتسبون الى رئيس لهم يقال له سوفسطاء ، وان منهم من ينكر العلم بشيء من الحقائق ، ومنهم من ينكر الحقائق الموجودة أيضاً مع العلوم ، ومنهم اللادرية الذين يشكون فلا يجزمون بنفي ولا اثبات ، ومنهم من لا يقر الا بما أحسه . قد رد هذا النقل والحكاية من عرف حقيقة الامر ، وقال : ان لفظ السوفسطائية في الاصل كلمة يونانية معربة ، أصلها سوفسطا : أي الحكمة المموهة ، فان لفظ سو معناه في لغة اليونان الحكمة ولهذا يقولون فيلا سوفأي محب الحكمة ، ولفظ فسطا معناه المموهة ، ومعلم المستأخرين المبتدعين ارسطو لما قسم حكمتهم التي هي منتهى علمهم الى برهانية وخطابية وجدلية وشعرية ومموهة وهي المغالط سماها

سوفسطا . ثم ظن بعض المتكلمين ان ذلك اسم رجل وإنما أصلها ما ذكر . وان كان لفظ السفسطة قد صار في عرف المتكلمين عبارة عن حجد الحقائق ، فلا ريب ان هذا يكون في كثير من الامور ، فمن الامم من ينكر كثيراً من الحقائق بعد معرفتها كما قال تعالى : « ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً » وقد يشبهه كثير من الحقائق على كثير من الناس كما قد يقع الغلط للحس أو العقل في أمور كثيرة ، فهذا كله موجود كوجود الكذب عمداً أو خطأ . اما اتفاق امة على انكار جميع العلوم والحقائق أو على انكار كل منهم لما لم يحسه ، فهو كاتفاق امة على الكذب في كل خبر ، أو التكذيب لكل خبر . ومعلوم ان هذا لم يوجد في العلماء ، والعلم بعدم وجرد امة على هذا الوصف كالعلم بعدم وجود امة بلا ولادة ولا اغتذاء ، وامة لا يتكلمون ولا يتحركون ، ومحو ذلك مما يعلم ان البشر لا يوجدون على هذا الوصف فالقول بوجود امة لا تقر بشيء من الخبرات الا أن تحس المخبر بعينه يتنافى ذلك ، واذا كان كذلك فأولئك المتكلمون من المشركين والسمنية الذين ناظروا الجهم قد غلطوا الجهم ولبسوا عليه ، - حيث أوهموه ان مالا يحسه الانسان بنفسه لا يقر به ، فكأن حقه أن يستفسرهم عن قولهم : مالا يحسه الانسان لا يقر به : هل المراد به هذا أو هذا ، فان أرادوا أولئك المعنى الاول أمكن بيان فساد قولهم بوجوده كثيرة ، وكان أهل بلدتهم وجميع بني آدم يرد عليهم ذلك . وان أرادوا المعنى الثاني - وهو ان مالا يمكن الاحساس به لا يقر به ، فهذا لا يضر تسليمه لهم ، بل يسلم لهم ويقال لهم فان الله تعالى تمكن رؤيته وسمع كلامه ، بل قد سمع بعض البشر كلامه - وهو موسى عليه السلام وسوف يراه عباده في الآخرة ، وليس

من شرط كون الشيء موجوداً أن يحس به كل أحد في كل وقت ، أو ان يكون احساس كل أحد به في كل وقت ، فان اكثر الموجودات على خلاف ذلك ، بل متى كان الإحساس به ممكناً ولو لبعض الناس في بعض الاوقات ، صح القول بأنه يمكن الإحساس به ، وقد قال تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء » وهذا هو الاصل الذي ضل به جهنم وشيعته حيث زعموا ان الله لا يمكن أن يرى ولا يحس به بشيء من الحواس كما أجاب امامهم الاول للسمنية بامكان وجود موجود لا يمكن احساسه^(١) ولهذا كان أهل الإثبات قاطبة متكلموهم وغير متكلميهم على نقض هذا الاصل الذي بناه الجهمية ، وأثبتوا ما جاء به الكتاب والسنة من أن الله يرى ويسمع كلامه وغير ذلك ، وأثبتوا أيضاً بالمقاييس العقلية ان الرؤية يجوز تعلقها بكل موجود فيجوز احساس كل موجود ، فما لا يمكن احساسه يكون معدوماً ، ومنهم من طرد ذلك في اللمس ، ومنهم من طرده في سائر الحواس كما فعله طائفة من متكلمي الصفاتية الاشعرية وغيرهم

والمقصود هنا ان أولئك المشركين المناظرين قالوا كلاماً مجملاً ، فجعلوا الخصاص عاماً والمقيد مطلقاً حيث قالوا : أنت لم تحسه ، وما لم تحسه أنت لا يكون موجوداً : والمقدمة الثانية باطلة ، لكن موهوها بالمعنى الصحيح ، وهو ان ما لا يمكن احساسه بحال لا يكون موجوداً : اه كلام شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله

(١) ان جواب جهنم المتقدم للسمني ليس صريحاً في هذا المعنى وانما هو لإلزام له بما يلزمه . فان كان صرح بهذا الاصل في موضع آخر فهو مذهبه الذي يناقش فيه لا الاستنباط البعيد من جوابه للسمني . كتبه محمد رشيد

(٨) تلقيب الجهمية بالجبرية

اشتهر عن جهم القول بالجبر (بفتح الجيم وسكون الموحدة) وهو اسناد فعل العبد الى الله تعالى ، ففي المواقف للعضد وشرحها للسيد : الجبرية - متوسطة تثبت للعبد كسباً كالاشعرية - وخاصة لا تثبته كالجهمية قالوا : لا قدرة للعبد أصلاً مؤثرة ولا كاسبة بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها اه لم يعد العضد في المواقف الجهمية فئة على حدتها كما فعل غيره من أرباب المقالات ، بل جعلها قسماً من الجبرية ، فلذا عسر السقوط عليها من المواقف الا بالسبتر ، وقد عرقتها

والجبر المذكور هو أحد آراء الجهمية ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري : ليس الذي أنكروه على الجهمية مذهب الجبر خاصة ، وانما الذي أطبق السلف على ذمهم بسببه انكار الصفات حتى قالوا : ان القرآن ليس كلام الله وانه مخلوق اه

وعلى قول العضد الاشعرية جبرية متوسطة ، اذكر ما قاله العلامة المقبل في العلم الشاخب^(١) وعبارته : لما رأى محققو الاشاعة بطلان مذهب جهم بالضرورة ، وعود مذهب الاشعري وأتباعه اليه بادنى إلام ، واضمحلال الكسب كيفما قلبته ، وبطلان سعي أهله ، تسلوا عنه لو اذا ، فمنهم الراجع الى الحق صريحاً ، ومنهم المقارب ولكن مع التستر باللجج بعبارات الاسلاف وتمويه التقارب فيما بينهم وبين الاشعري والكون تحت رايته ، وقد رفضوه ونسبوه الى انكار الضرورة من حيث المعنى : ثم سمي المقبل من هؤلاء المحققين امام الحرمين والفخر الرازي وغيرهما فانظره

(١) طبع بمصر ويطلب من مكتبة المنار فيها

(٩) السببه لما وقع من خلل النقل عن الجهمية وغيرهم

أرى من واجب كل من يؤرخ مذهب قوم، وكل من يناقش فرقة ما في مذهبها، ان ينقل آراءها عن كتب علماءها الثقات، ويقوم بالعزو الى مأخذها ومصادرها، لتكون النفس في طمأنينة مما يريها ان لم يكن بهذا الواجب — هذا كله اذا أمكن الظفر بكتبها نفسها، وآرائها التي دونتها رجالها، — والا فعلى النهم بتعرف الحقائق ان يأتوا عن كتب الأئمة المحققين ماثروه، ويبنى على ما بنوه، مع التحري والتيقظ، وما عني باذل جهده من ملام وبالجمله فلا بد من السند في قبول ما يعزى ويروى الى تلك الفرقة، فإما عن أسفارها أو عن امام ثقة أثر عنها، وأما ربي فرقة برأي ما بدعوى انه قيل عنها ذلك أو يقال، فما لا يقام له وزن في الصحة والاعتماد، فلا يتعاني في رده أو مناقشته، وهذه القاعدة يجب ان تؤخذ دستورا وأمرًا عامًا في كل ما يؤثر وينقل، وأصلها مما نبه عليه أئمة الرواية عليهم الرحمة والرضوان، اذ لم يقبلوا الاثر الا بعد معرفة رأويه وضبطه وثقته وعدالته^(١) اذ ليس من السهل تشريع أمر ايجابا أو حظرا، تخميلا أو تحريما، بل أمامه ما أمامه من بذل غاية الوسع، ونهاية الجهد، في تعرف مورده ومصدره تحريا للحق، واحتياطاً للصواب، وهكذا في كل ما يؤثر من الاقوال والآراء، سواء كانت في الاصول أو الفروع أو اللغات أو الاقاصيص، ودليل هذا الاصل آية « ولا تقف، ما ليس لك به علم، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا » وآية « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

(١) مآلوه و الثقة برد السكتب الى أهلها أقوى في هذا الباب. وقال النقاء: نقل المخالف

إذا عرف هذا تبين ان التساهل في الحكاية والنقل لا يقول به المحققون، ويربأون بأنفسهم عن الخوض فيه، وإنما يستروح به المتعصبون والمدفعون وراء كل ناعق، أو المقلدون بدون تمحيص ونقد من أعجب ما اتفق لي في ذلك ما رأيت في طبقات السبكي من قوله^(١) :
 : واما جهنم فلا ندري ما مذهبه، ونحن على قطع بأنه رجل مبتدع الخ ثم قال^(٢) واعلم ان جهنم غاص في المعاني بزعمه، وأعرض عن الظواهر فسقط على أم رأسه، وقامت عليه حجج الشرع، ومنعته عن سبيل الحق أي منع، الخ : فتأمل قول السبكي : فلا ندري ما مذهبه : ثم هجمه عليه ، مع ان السبكي انتقد على ابن حزم في تحامله على الأشعري قبل أسطر وعبارته : وهذا ابن حزم رجل جريء بلسانه ، متسرع الى النقل بمجرد ظنه، هاجم على أئمة الاسلام بالفاظه وفي كتابه (الملل والنحل) الأجزاء باهل السنة، ونسبة الأقوال السخيفة اليهم ، من غير تثبيت عنهم ، والتشنيع عليهم بما لم يقولوه : ثم قال السبكي : ان ابن حزم ما بلغه بالنقل الصحيح معتقد الأشعري، وإنما بلغه عنه أقوال نقلها الكذابون عليه ، فصدها بمجرد سماعه اياها ، ثم لم يكتف بالتصديق بمجرد السماع حتى أخذ يشنع اه فنقول له : لقد كدت تقع فيما رميت به الامام ابن حزم . وممن نبه على ما وقع من تساهل بعض المؤلفين الامام فخر الدين الرازي في رسالته التي جمعها في المسائل الواقعة له في رحلته الى ماوراء النهر، فقد قال في المسألة العاشرة ما مثاله :
 كتاب الملل والنحل للشهرستاني كتاب حكى فيه مذاهب أهل العالم بزعمه، الا انه غير معتمد عليه ، لأنه نقل المذاهب الاسلامية من الكتاب

المسمى بالفرق بين الفرق من تأليف الاستاذ أبي منصور البغدادي (قال الرازي) وهذا الاستاذ كان شديد التعصب على المخالفين ، فلا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه ، ثم ان الشهرستاني نقل مذاهب الفرق الاسلامية من ذلك الكتاب ، فهذا السبب وقع الخلل في نقل هذه المذاهب اه كلام الرازي وهكذا انتقد العلامة المقبلي في العلم الشاخب من ينقل مذهب المعتزلة من كتب الاشاعرة بانه حصل الغلط عليهم في بعض كلامهم . وذكر ان هذا كثير الوقوع في حكاية المذاهب (قال) صحة الرواية تنبني على التحري وعدم المجازفة ، ثم اثني على الرازي في تحريه النقل عن المعتزلة وعبارته: قد أكثر الرازي في تفسيره الحكاية عن القاضي وغيره من المعتزلة (ثم قال) الرازي أكثر الناس عناية في هذا الشأن ، وأدقهم مسلكا وأوسعهم مجالا ، وحاله في كتبه تحرير حجج الخصوم على أبلغ ما يمكنه ، وليس كسائر الاشاعرة لا يعرفون مذهب المعتزلة على حقيقته ، ولا ينصفونهم فيما عرفوا (قال) وكذلك الزمخشري تنصيصاً وتلويحاً ، وإيماءً وتصريحاً ، كما قال بعضهم انه دس الاعتزال تحت كل ذرة من كتابه

وقال أيضاً : علم من المختلفين في العقائد اتباع الهوى وقبول المثالب من دون تثبت : ذكر ذاك في نقده على الذهبي في قوله عن الجاحظ انه باقعة قليل دين (قال) هو أجل من ذلك وان تحامل عليه مخالفوه في العقائد ، فلا يصدقون عليه ، وأصحابه المعتزلة أخبر به ، فهو عند المعتزلة من جلة العلماء ، وعند الجميع مقدم الاذكياء الحكماء اه

وقال أيضاً : وقد صار كل من الفرق يحكي الشر عن مخالفه ويكتم الخير ، بل يروي الكذب والبهت ، كما تذكر الاشاعرة أن المعتزلة تنكر

عذاب القبر، ترى ذلك فاشيا بينهم ، مع ان النقل عنهم باطل ، وهو شبيهه قذف الغافلات ، فان المعتزلة لا تكاد تظن قائلًا يقول هذا الا شدوذاً ، مثل المريسي وضرار وهما بيت الغرائب ، مع ان ضراراً ليس من المعتزلة في روايتهم ، لانهم رووا عنه القول بالرؤية بحاسة سادسة ، ورووا عنه القول بمخاق الافعال ، وانه زجيم عن الاعتزال ، (قال) وعلى الجملة فليس شدوذه عن الفريقين بغريب ، وانما المنكر إلزام المعتزلة قوله ، وانما هذه المسألة — كسائر المسائل — لا بد فيها من شدوذ كشدوذات العنبري والظاهرية ، وهذا شيء كثير يطلعك عليه كتب المقالات اه

ويتفرع من هذا البحث مسألة جليلة ، وهي إلزام الناس لوازم أقوالهم ، واطافتها اليهم إضافة أقوالهم أنفسهم ، وقد نبه عليها أئمة الاصول قال الامام أبو اسحق الشيرازي في اللمع : ما يقتضيه قياس قول المجتهد لا يجوز أن يجعل قولاً له (قال) ومن أصحابنا من قال انه يجوز أن يجعل ذلك قولاً له ، وهذا غير صحيح ، لان القول مانص عليه وهذا لم ينص عليه ، فلا يجوز أن يجعل قولاً له اه

ومثله يجري في قولهم : لازم المذهب ليس بمذهب ، وقد رأيت لشيخ الاسلام ابن تيمية تفصيلاً في هذه المسألة ، — وهو قوله في بعض فتاويه : لازم قول الانسان نوعان (أحدهما) لازم قوله الحق ، فهذا مما يجب عليه أن يلتزمه فان لازم الحق حق ؛ ويجوز أن يضاف اليه اذا علم من حاله انه لا يمتنع من التزامه بعد ظهوره ، وكثيرا ما يضيف الناس الى مذهب الأئمة من هذا الباب (والثاني) لازم قوله الذي ليس بحق ، فهذا

لا يجب التزامه بلاذ أكثر ما فيه انه تناقض ، وقد ثبت ان التناقض واقع من كل عالم غير النبيين عليهم السلام . ثم ان من عرف من حاله انه يلتزمه بعد ظهوره فقد يضاف اليه ، والا فلا يجوز أن يضاف اليه قول لو ظهر له لم يلتزمه لكونه قد قال ما يلزمه وهو لا يشعر بفساد ذلك القول ولا بلازمه (قال رحمه الله) وهذا التفصيل في اختلاف الناس في لازم المذهب هل هو مذهب أم ليس بمذهب ، هو أجود من اطلاق أحدهما ، فما كان من اللوازم يرضى القائل بعد وضوحه به فهو قوله ، وما لا يرضاه فليس قوله وان كان متناقضاً ، وهو الفرق بين اللازم الذي يجب التزامه مع الملزوم ، واللازم الذي يجب ترك الملزوم للزومه ، وهذا متوجه في اللوازم التي لم يصرح هو بعدم لزومها ، فأما اذا تقي هو اللزوم ، لم يجز أن يضاف اليه اللازم بحال اه كلامه وهو تفصيل راعى فيه ما عليه أتباع الأئمة من اضافة ما يجري على قواعدهم اليهم ، وجعله قولاً لهم ، بحجة ان قواعدهم لا نأباه ، أو انه يعلم من حاله انه لا يمتنع من التزامه ، كما قاله تقي الدين ، ولا يخفى ان الاقعد هو التورع عن الاضافة مطلقاً ، فان الذي يضاف الى المرء هو ما قاله أو رواه عنه ثقة ، وأما تقويل الانسان ما لم يقل والزامه إيائه ، وأخذ نتائج منه ، فهذا لا يدل عليه منقول ، ولا يؤيده معقول ، ولا جرى عليه التابعون باحسان . وانما نشأ هذا لما استفحل أمر التقليد ، وعومات أقوال المتبوعين معاملة أقوال المعصوم ونصوص الكتاب نعوذ بالله من ذلك ، وذلك ظاهر لمن له أدنى إلمام بسير القرون ، واختلاف حال السلف عن الخلف في تحمل العلوم على أصولها

(١٠) تمثل الشعراء بمذهب الجهمية

قال الامام ابن تيمية في كتابه « موافقة صريح المعقول لصريح العقليات التي عارضوا بها النصوص اذ كان العقل الصريح الذي يستحق أن تسمى قضاياه عقليات موافقا للنصوص لا مخالفا ، ولما كان قد شاع في عرف الناس ان قول الجهمية مبناه على النفي صار الشعراء ينظمون هذا المعنى كقول أبي تمام :

جهمية الاوصاف الا أنهم قد لقبوها جوهر الاشياء اه

* *

(١١) بيان ان مذهب الجهم متلقى عن الجعد بن درهم

وشيء من أبناء الجعد وقتله

روى الأئمة ان أول من قال بخلق القرآن وخاض فيه وصيره هجيراه الجعد بن درهم ، وكان مؤدب^(١) مروان آخر ملوك بني أمية ، ولذا كان يلقب مروان بالجمدي ، لانه تعلم من الجعد مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك ، وكان الناس يذمون مروان بنسبته اليه ، قاله ابن الاثير

وقال الحافظ ابن عساكر في تاريخه : أقام الجعد بدمشق حتى ظهر القول بخلق القرآن ، فتطلبه بنو أمية فهرب وسكن الكوفة ، فلقبه بها

(١) المؤدب : معلم الأدب ، وهو رياضة النفس على حسن الاخلاق وفعل المكارم ، بمثابة المرشد ، أو معلم العلوم الادبية . ولا يخفى ان الامراء تعنى بانتقاء امانال الفضلاء لتربية ابنائها على العلوم والاخلاق الفاضلة

الجهم بن صفوان لا فتقلد عنه هذا القول

وقال ابن الاثير في سيرة هشام : قيل ان الجعد بن درهم أظهر مقالته بمخلق القرآن أيام هشام بن عبد الملك فأخذه هشام وأرسله الى خالد القسري وهو أمير العراق وأمره بقتله ، فحبسه خالد ولم يقتله ، فبلغ الخبر هشاماً ، فكتب الى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله ، فأخرجه خالد من الحبس في وثاقه ، فلما صلى العيد يوم الاضحى ، قال في آخر خطبته : انصرفوا وضحوا تقبل الله منكم ، فإني أريد ان أضحي اليوم بالجعد بن درهم ، فانه يقول ما كلم الله موسى ، ولا اتخذ ابراهيم خليلاً ، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً : ثم نزل فدبحه اه

وقال ابن تيمية في الرسالة الحموية : أصل فشو البدع بعد القرون الثلاثة وان كان قد نبع أصلها في أواخر عصر التابعين (ثم قال) وأول من حفظ عنه مقالة التعطيل في الاسلام هو الجعد بن درهم ، وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت اليه اه وبمراده بالتعطيل حمل الصفات الربانية على المجاز المستلزم للتعطيل لان التعطيل من لوازم مذهبه^(١)

(١٢) نبذة من أخبار خالد بن عبد الله القسري قاتل الجعد أستاذ الجهم

اشتهر هذا الامير بقتل الجعد ، وحكى ذلك كل من رد على الجهمية ومن الناس من أثنى عليه بقتله ، وعده غيرة على الدين ، ومنهم من رأى ان قتله كان لامر سياسي الا انه موه باسم الدين اقناعاً للعامة بقتله . ثم منهم من وهم ان هذا الامير كان من الاخير لا أثره هذا ، ومنهم من رأى

(١) البتار : المراد بالتعطيل نفي الصفات لائق وجود الاله

عكس هذا . ولما كان من متهمة بجننا هذا إماطة الحجاب عن الارتياح في هذا الرجل عولنا على أئمة التاريخ في ترجمة حاله^(١) وما خصها ان خالد هذا هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز من بجيلة ، فأما جده (يزيد) فانه أسلم مع أبيه أسد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وروى عنه رواية يسيرة ، ثم خرج في عهد عمر رضي الله عنه في بعوث المسلمين الى الشام ، فكان بها ، وكان مطاعاً في اليمن العظيم الشأن ، ثم صار من قواد معاوية وأمراء بعوته وأما ابنه (عبد الله) فلم تكن له نباهة آباءه ، وأهل المثالب يقولون انه دعي ، وكان مع عمرو بن سعيد بن الأشدق على شرطته أيام خلافة عبد الملك بن مروان ، فلما قتل هرب ، حتى سألت اليمانية عبد الملك فيه لما أمن الناس عام الجماعة فأمنه ، ثم مضى عبد الله الى حبيب بن مسلمة الفهري وكتب له ، وكان كاتباً مفوهاً ، وذلك في خلافة عثمان بن عفان فنال حظاً وشرفاً . وكان يقال له خطيب الشيطان ، ووسم خيله (القسري) ثم تدسس لملك خيلا في بلاد قسر^(٢) فمنعته بجيلة ذلك أشد المنع ، فلم يقدر عليه حتى عظم أمره

ثم نشأ ابنه خالد بالمدينة ، وكان خالد — هذا المترجم — في حدائمه يتبع المغنين والمختنين ، وكان يقال له (خالد الخريّ^(٣)) وقم في شعر عمر بن أبي ربيعة تلقبيه بذلك . ثم صار في مرتبة أبيه بعده ، الى أن ولاه هشام ابن عبد الملك العراق سنة (١٠٥) واسنمر الى أن عزله هشام سنة (١٢٠)

(١) كالطبري وابن الاثير والاعاني (٢) بفتح القاف وسكون السين بطن من بجيلة . وبجيلة كسفيئة حي باليمن من معداه قاموس (٣) الخريّ بكسر الخاء وتشديد الراء الدليل الحاذق العارف بأخراة الارض اي مضايقتها

وكان الاسلام بالعراق في عهد خالد ذليلاً ، فكان يولي النصارى
والمجوس على المسلمين ، وكان أهل الذمة يشترتون الجوارى المسلمات
ويطوئنهن ، فيطلق لهم ذلك ولا يغير عليهم . وسبب ذلك ان أم خالد كانت
رومية نصرانية ، ابنتى بها أبوه في بعض أعيادهم فأولدها خالدًا وأسدًا ،
ولم تسلم هي ، وبنى لها خالد بيعة في قبلة المسجد الجامع بالكوفة فكان اذا
أراد المؤذن في المسجد ان يؤذن ضرب لها بالناقوس ، واذا قام الخطيب
على المنبر رفع الناس أصواتهم بالقراءة ، فذمه الناس والشعراء ، فمن
ذلك قول الفرزدق :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية أتقنا تهادى من دمشق بخالد

فكيف يؤم الناس من كانت أمه تدين بأن الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها النصارى لأمه ويهدم من كفر منار المساجد

وكان خالد قد أمر بهدم منار المساجد ، لانه بلغه ان شاعرا قال : ”

ليتني في المؤذنين حياتي انهم يبصرون من في السطوح

فيشيرون أو تشير اليهم بالهوى كل ذات دلّ ملبح

فلما سمع هذا الشعر أمر بهدمها

وكان يبالغ في سب أمير المؤمنين علي عليه السلام ، تؤثر عنه حكايات

في ذلك عديدة وكان مذمماً للغاية ، هجاه الفرزدق والاعشى بأشعار كثيرة

ويذكر به أقوال تقشعر لذكورها الابدان ، وقد قص شيئاً منها ابن الاثير

وأبو الفرج الاصبهاني ، ولما قصها أبو الفرج قال في اثرها : اللهم العن

خالدا واخزه وجدد على روحه العذاب

(١) النار : الظاهر انه اعتذر بذلك اعتذاراً لأن هذا لا يصح ان يكون سبياً

أمر خالد الى أن غضب عليه هشام، وعزلهم عن العراق، وولى مكانه يوسف بن عمر الثقفي، وأمره بحبسه وتعذيبه، فحبسه ثمانية عشر شهرا بالحيرة مع ابنه، الى أن أمر الوليد بضربه فضرب، ثم حبس، ثم حمل الى يوسف بن عمر فعذبه عذابا شديدا، ثم قتله ودفنه بالحيرة في المحرم سنة ١٢٦ وكانت غلة خالد بالعراق عشرين الف الف، ولما ختن نائبه طارق ابنه بالكوفة أهدى اليه خالد الف وصيف ووصيفة سوى الاموال والثياب، ولما ولي بعد خالد يوسف الثقفي قال يحيى بن نوفل يمتدحه، ويعرض بأعمال خالد الذميمة:

أتانا وأهل الشرك أهل زكاتنا وحكامنا فيما نسر ونجهر
فلما أتانا يوسف الخير أشرفت له الارض حتى كل واد منور
وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً وما كان من قبل العقيلي يظهر
ومن أراد استيفاء أحواله وأخباره بأفظم من هذا مما نصور عنه
بحشنا المسطور فايرجع الى كتاب الاغاني لابي الفرج الاصبهاني رحمه الله

**

(١٣) حمل الاثرية على الجهمية والاغراء

قال الشهرستاني: كان السلف كلهم من أشد الرادين على جهم ونسبته الى التعطيل اه ومن أشهر كتبهم في الرد عليه كتاب الامام أحمد بن حنبل في الرد على الجهمية، وكتاب الامام الدارمي، وكتاب التوحيد والرد على الجهمية للامام البخاري في آخر صحيحه، وفي كتابه خلق الافعال أيضاً. وكتاب (الرد على الجهمية) لابن أبي حاتم وغير هؤلاء ومن أوسع من غني بالرد عليهم من المتأخرين الامام ابن تيمية في عدة

من مؤلفاته وفتاويه، وكذلك تلميذه الامام ابن القيم في بعض مؤلفاته مثل كتاب
اجتماع الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية وكتاب الكافية الشافية
وقد عد الامام أبو القاسم الطبري الحافظ في كتابه (شرح أصول
السنة) ممن قال «القرآن كلام الله غير مخلوق» نحواً من خمسمائة وخمسين
نفساً من التابعين والائمة المرضيين، على اختلاف الاعصار، ومضي السنين
والاعوام، (قال) وفيهم نحو من مائة امام، ممن أخذ الناس بقولهم،
وتدينوا بمذاهبهم، لا ينكر عليهم منكر، (قال) ومن أنكر قولهم
استتابوه، أو أمروا بقتله أو نفيه أو صلبه^(١) قال ولا خلاف بين الامة
ان أول من قال «القرآن مخلوق» جمع بن درهم في سني نيف وعشرين
ومائة ثم جهنم بن صفوان اه

**

(١٤) رأي الأثرية في الجهمية

احسن من كتب في هذا المعنى الامام ابن قتيبة في شرح مختلف
الحديث، فانه صنفه انتصاراً لحاملي الاثر من خصومهم، وكان ابن قتيبة
للأثرين كالجاحظ للجهمية خطيباً مفاوفاً كاتباً بليغاً، وهالك ماقاله في مقدمة
كتابه المنوه به: «اما بعد اسمعك الله تعالى بطاعته، وحاطك بكلاءته،
ووفقك لاحق برحمته، وجعلك من أهله، فانك كتبت اليّ تعلمني
ماوقفت عليه من ثب أهل الكلام أهل الحديث وامتثالهم، واسبابهم
في الكتب بدمهم، ورميهم بحمل الكذب ورواية المتناقض، حتى
وقع الاختلاف، وكثرت النحل، وتقطعت العصم، وتماذى المسلمون،

(١) هذا موضع الشاهد من قولنا في الترجمة: والاغراء بهم

وأكفر بعضهم بعضا وتعاق كل فريق منهم لمذهبه بحسب من الحديث (الى ان قال) ومع روايتهم كل سخافة تبعث على الاسلام الطاعنين ، وتضحك منه الملحدين ، وتزهد في الدخول فيه المرتادين ، وتزيد في شكوك المرتابين ، وقد قنعوا من العلم برسمه ، ومن الحديث باسمه ، ورضوا بان يقولوا فلان عارف بالطرق ورواية الحديث ، وزهدوا في ان يقال عالم بما كتب ، او عامل بما عمل (ثم قال) هذا ما حكيت من طعنهم على اصحاب الحديث . (ثم قال) وقد تدبرت مقالة أهل الكلام ، فوجدتهم يقولون على الله مالا يعلمون ، ويفتنون الناس بما يأتون ، ويبصرون القذى في عيون الناس ، وبعيونهم تطرف على الاجذاع ، ويتهمون غيرهم في النقل ، ولا يتهمون آراءهم بالتأويل ، ومعاني الكتاب والحديث وما اودعاه من لطائف الحكمة ، وغرائب اللغة ، لا يدرك بالظفرة والتولد والعرض والجوهر والكيفية والكمية والأينية . ولو ردوا المشكل منهما الى أهل العلم بهما لوضع لهم المنهج ، واتسع لهم المخرج ، ولكن يمنع من ذلك طلب الرياسة ، وحب الاتباع ، واعتقاد الاخوان بالمقالات ، والناس اسراب طير يتبع بعضها بعضا ، ولو وجد لهم من يدعي النبوة او الربوبية لوجد على ذلك أتباعا وأشياء ، وقد كان يجب مع ما يدعونه من معرفة القياس ، وإعداد آلات النظر ، ان لا يختلفوا كما لا يختلف الحساب والمساح والمهندسون ، فبالهم أكثر الناس اختلافاً ليس منهم واحد الا وله مذهب في الدين يدان برأيه ، وله عليه تبع ^(١)

(١) يشير الى فرق المنزلة العديدة ، كما تراها في كتب الملل والنحل ، وهم

المعتنون ببدء أهل الأثر

(ثم قال ابن لاقتيبة) « وقد كنت في عنفوان الشباب، وتطلب الآداب، أحب ان اتعلق من كل علم بسبب وان أضرب فيه بسهم، فربما حضرت بعض مجالسهم، وانا منترن بهم، طامع ان اصدر عنهم بفائدة أو كلمة تدل على خير، او تهدي لرشد، فارى من جرائعهم على الله تبارك وتعالى، وقلة توقيهم، وحمائم انفسهم على العظام لطردهم القياس ما ارجع معه خاسرا نادما، ولقد غلا كثير من الاثرية في الحمل على الجهمية، فصرح بالتكفير واستحلال الدم، نعوذ بالله من الغلو، حتى قام الائمة المحققون وحظروا النبز بالكفر، كما ستراد في بحث على حياله، آخر مقالنا هذا ان شاء الله ومن استقرأ كلام السلف في ذم الجهمية، تبين له ان سببه شيثان (الاول) شدة تمسك السلف بالظواهر، واعظام تأويلها بوجه ما، ولو سوغته اللغة بما فيها من المجاز، كأنهم أشفقوا ان يفضي باب التأويل الى التعطيل، بل رأوا هو هو، حتى ان لازم المذهب عندهم مذهب^(١) قال ابن تيمية: ولما كان أصل قول جهم هو قول المبدلين من الصابئة، وهؤلاء شر من اليهود والنصارى كان الائمة يقولون ان قولهم شر من قول اليهود والنصارى.

(السبب الثاني) قال ابن تيمية: ان الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم كانوا ابا ن ظهورهم يتسترون بالتجهم والتشيع اه فالتبسوا على السلف، لذلك حملوا عليهم كما روى البخاري في كتاب خلق الافعال عن أبي عبيد قال: ما ابالي اصليت خاف الجهمي والرافضي، أو صليت

(١) لانفس مامر من البحث والنفصيل في هذه المسألة في الكلام على التنبيه

لما وقع من خلل النقل عن الجهمية وغيرهم قد ذكر

خلف اليهودي والنصراني ، ولا يسلم عليهم ولا يمارون ولا يناكحون
ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم اه ولا يشك ان مرادم اوائك الزنادقة.
الملاحدة الذين استروا بالتجهم والتشيع . اما صالحوا الجهمية والشيعية
فبمعزل عن هذا الجرح كما لا يخفى

**

(١٥) رأي الجهمية في الاثرية

لما كان القصد مما جمعناه الوقوف على الحقائق التاريخية فيه ، كان
من تمامه العلم بأراء هذه الفرق بعضها في بعض ، ليزداد بصيرة في مذهبها
من يروم مناقشتها بالحساب ، قال الامام ابن بطه : ومن كلامهم — يعني
الجهمية — من اتحل مذهب الاثر واعتقد ما في الاحاديث على ظاهرها ،
فهو حشوي زائع ، وعند التحقيق كافر اه (١)

وقال الاديب عبد المؤمن الاصفهاني في « أطباق الذهب » (٢)
مامثاله: مثل المقلد بين يدي المحقق؛ مثل الضرير بين يدي البصير المحدث،
ومثل الحكيم والحشوي، كالميتة والمشوي، مالمقلد الاجل مخشوش،
له عمل مغشوش، قصاراه اوح منقوش؛ يقنع بظواهر الكلمات، ولا
يمرف النور من الظلمات، يركض خيول الخيال، في ضلال الضلال،
شغله نقل النقل، عن نخبة العقل، واقنعه رواية الرواية، عن در الدراية،
يروى في الدين عن شيخهم، كمن يقوده أعمى في ليل مدلم، ومن طالب

(١) أي لان الظاهر - على ما يفهمونه - يؤدي الى التمثيل والتشبيه بالخلقوات،
وقد تقدم في فلسفة جهم شيء من التحقيق في معنى الظاهر، بما يرجع الخلاف لفظيا

(٢) في المقالة السادسة والثلاثين

العلم بالمنعوت ، تولاط في هوة العنت ، والحق وراء السماع ، والعلم بمعزل
عن الرقاق ، فما أسعد من هدي الى العلم ونزل رباءه ، وأري الحق حتما
ورزق اتباعه ، وما أشقى جهالا قلدوا الآباء فهم على آثارهم مقتدون ،
(أو لو كان كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) اه

ومن مثل هذا يعلم مبلغ نفرة الجهمية من الاثر والاثريين ، ونبذهم اياهم
بما تجل أقدارهم عنه ، ولئن وجد في الرواة من جعل همه التوسم في الرواية
دون الدراية ، — وهم الذين عناهم الامام مسلم في مقدمة صحيحه — الا ان
أئمة الرواية لم يقنعوا الا بالبحث والتأصيل ، والتفريع والتخريج ، وقد طبق
علمهم الآفاق ، وسارت بمذاهبهم وأصولهم الركبان ، وسند ذكر تفريط
الجهمية في المنقول ، وهو ما حادهم الى النيل من أهله ، وبالله التوفيق

**

(١٦) تفريط الجهمية في السمع والنقل ، وسواهم في العناية بالعقل

من المعلوم ان الجهمية قصروا في علم السمع والنقل ، وهو علم الرواية ،
بخانبوا كثيرا من المرويات المشهورة المعروفة عند أهلها ، وتمحلوا في ردها
أو تأويلها بما لا يرتضيه منصف ، فقأتهم ركن عظيم من أركان أصول الشرع
وهو السنة ، وما يتبعها من علومها المتنوعة ، وفنونها المحررة ، وهل يزرى
بعلم زخر بحره ، وتلاطم بالشرائع موجه ؟

قال المقبل في العلم الشاخي — في تخطيطة المعتزلة في رد الحديث
الصحيح بمجرد الرأي مامثاله : فان صح الحديث لزمننا تصديقه ، فان فهمنا
معناه والا ردنا علمه الى الله سبحانه ، ولكن هذه طريقة اعتمدها متكلمة
المعتزلة ، وهي مردودة عتلا وسمعا ، فلذا ردوا أحاديث الصفات ، وفي

القرآن مافي الحديث من ذلك وما ينبغي التفرقة بينهما، وما أحسن جواب
بعض المحدثين ، وقد سئل عن أحاديث الصفات فقال: رواها الذين رووا
لنا الصلاة والزكاة وسائر الشريعة فالواجب تسليم ماصح ، وما اشتبهه بمعناه
رددناه الى الله سبحانه ، فلا يغرنك قولهم آحادي فلا تقبله في مقابلة العقل ،
لان مارواه الثقات مقبول ، والا اطرحنا أكثر الشريعة ، والدليل على
قبول الآحاد شامل لكل الدين ، والتفرقة جاءت من قباهم لان قبل الله
ورسوله ، اذ العقل قد فرضنا انه لم يدرك حقيقة ذلك ، فكيف يقال
انه مصادم له اه

وأما خصوم الجهمية فهم أتقنوا علم السمع ، وعلموا منه كثيرا من
القواعد ، وتواتر من السمع لهم ما لم يتواتر لغيرهم ، الا أنهم ظنوا ان العلوم
العقلية معارضة لما عرفوه من السمع الحق ، وحسبوا ان الاصفاء لعلم المعقول
والنظر اليه يستلزم البدعة من غير بد ، مع ان العقل السليم لا ينافي السمع
الصحيح . قال الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء : لاغنى بالعقل عن
السمع ، ولاغنى بالسمع عن العقل ، فالداعي الى محض التقليد مع عزل
العقل بالكفاية جاهل ، والمكثفي بمجرد العقل عن أنوار القرآن والسنة
مغرور ، فايك أن تكون من أحد الفريقين ، وكن جامعا بين الاصلين ،
فان العلوم العقلية كالأغذية ، والعلوم الشرعية كالادوية اه



(١٧) بيان ان انقسام الناس الى التجهيم يشبه انقسامهم الى التشيع

وذلك ثلاث درجات

قال الامام ابن تيمية : ليس الناس في التجهيم على مرتبة واحدة ، بل

انقسامهم في التجهم يشبه انقسامهم في التشيع ، فان التجهم والرفض هما
 أعظم البدع أو من أعظم البدع التي أحدثت في الاسلام ، ولهذا كان
 الزنادقة المحضة مثل الملاحدة من القرامطة ونحوهم انما يتسترون بهذين
 بالتجهم والتشيع ، وقد كان أمرهم اذ ذلك لم ينتشر وينفرد ويظهر فساده
 كما ظهر فيما بعد ذلك

فان الرافضة القدماء لم يكونوا جهمية ، بل كانوا مثبتة للصفات ،
 وغالبهم يصرح بلفظ الجسم وغير ذلك ، كما قد ذكر الناس مقالاتهم ،
 كما ذكر أبو الحسن الاشعري وغيره في كتب المقالات

والجهمية لم يكونوا رافضة بل كان الاعتزال فاشيا فيهم ، والمعتزلة
 كانوا ضد الرافضة ، وهم الى النصب أقرب ، فان الاعتزال حدث من
 البصرة ، والرفض حدث من الكوفيين ، والتشيع كثر في الكوفة ،
 وأهل البصرة كانوا بالصد ، فلما كان بعد عهد زمن البخاري من عهد بني
 بويه ، فشا في الرافضة التجهم واكثر أصول المعتزلة ، وظهرت القرامطة
 ظهوراً كبيراً ، وجرى حوادث عظيمة

والقرامطة بنوا أمرهم على شيء من دين المجوس وشيء من دين
 السابئة ، فأخذوا عن هؤلاء الاصلين النور والظلمة ، وعن هؤلاء العقل
 والنفس ، ورتبوا لهم ديناً آخر ليس هو هذا ولا هذا ، وجعلوا على ظاهره
 من سيما الرافضة ما يظن الجهال به انهم رافضة ، وانما هم زنادقة منافقون ،
 اختاروا ذلك — لان الجهل والهوى في الرافضة اكثر منه في سائر
 أهل الاهواء

والشيعة هم ثلاث درجات (شرها الغالية) الذين يجعلون لعلي شيئاً

من الإلهية أو يصفونه بالنبوة ، وكفر هؤلاء بين لكل مسلم يعرف الاسلام وكفرهم من جنس كفر النصارى من هذا الوجه .

(والدرجة الثانية) وهم الرافضة المعروفون كالامامية وغيرهم الذين

يعتقدون ان عليا هو الامام الحق بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنص جلي أو خفي ، أو انه ظلم ومنع حقه ، ويبغضون أبا بكر وعمر ويشتمونهما ، وهذا هو عند الأئمة سيما الرافضة وهو بغض أبي بكر وعمر وسبهما

(والدرجة الثالثة المفضلة) من الزيدية وغيرهم الذين يفضلون عليا

على أبي بكر وعمر ، ولكن يعتقدون امامتها وعدالتها ويتولونهما ، فهذه الدرجة وان كانت باطلة فقد نسب اليها طوائف من أهل الفقه والعبادة وليس أهلها قريبا ممن قبلهم ، بل هم الى أهل السنة أقرب منهم الى الرافضة ، لانهم ينازعون الرافضة في امامة الشيخين وعدلها ومواليتهم ، وينازعون أهل السنة في فضاهما على علي ، والنزاع الاول أعظم ، ولكن هم المرتقة التي تصعد منه الرافضة ، فهم لهم باب

(وكذلك الجهمية على ثلاث درجات) (فشرها الغالية) الذين

ينفون أسماء الله وصفاته ، وان سمود بشيء من أسمائه الحسنی قالوا هو مجاز ، فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سمیع ولا بصير ولا متكلم ، ولا يتكلم ، وكذلك وصف العلماء حقيقة قولهم كما ذكره الامام أحمد فيما ذكره في الرد على الزنادقة والجهمية ، قال فعند ذلك تبين للناس انهم لا يثبتون شيئا ، ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشبهة بما يقرون في العلانية ، فاذا قيل لهم فمن تعبدون؟ قالوا نعبد من يدبر أمر هذا الخلق . فقلنا فهذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة ، قالوا

نعم، قلنا قد عرف المسلمون انكم لا تثبتون شيئاً، انما تدفعون عن أنفسكم
 المشعة بما تظهرون، فقلنا لهم هذا الذي يدبر هو الذي كلم موسى، قالوا
 لم يتكلم ولا يتكلم، لان الكلام لا يكون الا بجارحة، والجوارح عن الله
 منتفية، واذا سمع الجاهل قولهم يظن انهم من أشد الناس تعظيماً لله،
 ولا يعلم انهم انما يقودون بقولهم الى ضلال. وقال أبو الحسن الأشعري
 في كتاب المقالات والابانة: الذين نفوا صفات رب العالمين، وقالوا انه
 لا علم له ولا قدرة ولا سمع ولا بصر، انما أخذوه عن اخوانهم من
 المتفلسفة الذين يزعمون ان للعالم صانعاً لم يزل ليس بعالم ولا قادر ولا سميع
 ولا بصير، غير ان هؤلاء لم يستطيعوا ان يظهر او ما كانت الفلاسفة تظهره،
 فآظروا معناه، وقالوا ان الله عز وجل عالم قادر سميع بصير من طريق
 التسمية من غير ان تثبت له علماً أو قدرة أو سمعاً أو بصرًا. وقد أفصح
 بذلك رجل يعرف بابن الاباري كان ينتحل قولهم، فزعم ان الباري تعالى
 عالم قادر سميع بصير في المجاز لافي الحقيقة. وهذا القيل وهو قول الغالية
 النفاة للاسماء حقيقة هو قول القرامطة الباطنية، ومن سبقهم من اخوانهم
 الصابئة الفلاسفة

(والدرجة الثانية) من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم الذين يقرون
 باسماء الله الحسنى في الجملة لكن ينفون صفاته، وهم أيضاً لا يقرون باسماء
 الله الحسنى كلها على الحقيقة، بل يعملون كثيراً منها على المجاز، وهؤلاء
 هم الجهمية المشهورون

(والدرجة الثالثة) هم الصفاتية المبتنون المخالفون للجهمية، لكن
 فيهم نوع من التجهم كالذين يقرون باسماء الله وصفاته في الجملة، لكن

يردون طائفة من اسمائه وصفاته الخبرية وغير الخبرية ويتأولونها، كما تأول
الاولون صفاته كلها . ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في
القرآن دون الحديث كما عليه كثير من أهل الكلام والفقهاء وطائفة من أهل
الحديث (ومنهم) من يقر بالصفات الواردة في الاخبار أيضاً في الجملة ،
لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول ، وذلك كما
محمد بن كلاب ومن اتبعه . وفي هذا القسم يدخل ابو الحسن الاشعري
وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف ، وهؤلاء الى
أهل السنة المحضة أقرب منهم الى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية،
لكن اتسب اليهم طائفة هم الى الجهمية أقرب منهم الى أهل السنة
المحضة ، فان هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعاً عظيماً فيما يثبتونه من الصفات
أعظم من منازعتهم لسائر أهل الاثبات فيما ينفونه

وأما المتأخرون فانهم والوا المعتزلة وقاربوهم أكثر ، وقدموهم على أهل
السنة والاثبات وخالفوا أوليهم (ومنهم) من يتقارب تفيه واثباته، وأكثر
الناس يقولون إن هؤلاء يتناقضون فيما يجمعونه من النفي والاثبات اه^(١)

(١) للكلام تمة واسعة في التسمينية فليراجعها المستزيد

البحث الثاني في المعتزلة

وفيه مطالب

(١) التعريف بالمعتزلة

هذه الفرقة — كفرقة أهل السنة والجماعة — من أعظم الفرق رجالا ، وأكثرها تابعا ، فان شيعة العراق على الاطلاق معتزلة ، وكذلك شيعة الاقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية ، ومثلهم الزيدية في اليمن ، فانهم على مذهب المعتزلة في الاصول ، كما قاله العلامة المقبلي في العلم الشاخب ، وهوؤلاء يعدون في المسامين بالملايين ، بهذا يلم أن الجهمية المعتزلة ليسوا في قلة ، فضلا عن أن يظن أنهم انقرضوا ، وأن لا فائدة للمناظرة معهم ، وقائل ذلك جاهل بعلم تقويم البلدان ومذاهب أهلها أما البلاد المنتشرة فيها مذهب السلف الاثرية خاصة في العقائد ، فهي بلاد نجد تبماها ، فانها سلفية الاعتقاد ، لكن يغاب عليهم الجفاء والغلو . وفي بلاد الهند طوائف سلفية داعية الى مذهب السلف بنشر كتبه ودرسها . وفي العراق والحباز والشام ومصر جماعات قليلة منهم يغلب عليهم الاعتدال

وأما السواد الاعظم من معظم البلاد الاسلامية فعلى مذهب الاشعري أعني ما يدعى انه مذهبه من تلك العقائد الميثوثة في كتب المتأخرين المتداولة ، والا فلاشعري قد صرح في كتابه الابانة (*) بأنه على مذهب الامام احمد في الاعتقاد تصرحا لا شبهة فيه . ولا ادل على

(*) طبع في الهند بمحمد آماد الك. سنة ١٣٢١

مذهب المرء وعمده من كلامه أو ما خطه يمينه ، وسندكر في آخر
البحث مادعا الى انتشار مذهب الاشعري فاتظر

*
* *

(٢) سبب تلقيهم بالمعتزلة

قال الامام عبد القادر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق : كان
واصل ابن عطاء من متبائي مجلس الحسن البصري في زمان فتنة الازارقة ،
وكان الناس يومئذ مختلفين في أصحاب الذنوب من أمة الاسلام على فرق :
فرقة تزعم أن كل مرتكب لذنوب صغير أو كبير مشرك بالله ، وهو قول
الازارقة . وفرقة تزعم أن صاحب الذنوب المجمع على تحريمه كافر
مشرك . وفرقة تقول انه منافق ، وكان علماء التابعين في ذلك العصر
مع أكثر الامة يقولون : إن صاحب الكبيرة من امة الاسلام مؤمن
لما فيه من معرفته بالرسول ، وبالكتب المنزلة من الله تعالى ، ولمعرفته بان
كل ماجاء من عند الله حق ، ولكنه فاسق بكبيرته ، وفسقه لا ينفي
عنه اسم الايمان والاسلام . فلما ظهرت فتنة الازارقة بالبصرة والاهواز ،
واختلف الناس في أصحاب الذنوب على ما ذكرنا ، خرج واصل بن عطاء
عن قول جميع الفرق المتقدمة ، وزعم أن الفاسق من هذه الامة لا مؤمن
ولا كافر ، وجعل الفسق منزلة بين منزاتي الكفر والايمان ، فلما سمع الحسن
البصري من واصل بدعته هذه طرده عن مجلسه فاعتزل عند سارية من
سوارى مسجد البصرة وانضم اليه صديقه عمرو بن عبيد ، فقال الناس
يومئذ فيهما انهما قد اعتزلا قول الامة ، وسمي أتباعهما من يومئذ معتزلة ،
ثم انهما اظهرا قولهما في المنزلة بين المنزلتين ، وضما اليها دعوة الناس الى

قول القدرية على رأي معبد الجهني اه ملخصاً

وذكر ابن خلكان في ترجمة قتادة البصري - أحد كبار علماء التابعين - أن قتادة دخل مرة مسجد البصرة فاذا بعمر وبن عبيد وافر معه قدا عزلوا من حلقة الحسن البصري وحلقوا وارتفعت اصواتهم ، فامهم وهو يظن انها حلقة الحسن ، فلما صار معهم عرف انها ليست هي فقال : انما هؤلاء المعتزلة ثم قام عنهم اه

* * *

(٣) تلقيب المعتزلة بالجهمية

علم بما اسلفنا من حياة جهم وفلسفته أن انتشار آراء جهم وشيوع مسائله بين أولي العلم ولهيج الناس بها كان سبق العصر الذي ظهرت فيه المعتزلة ، الا انه سبق قريب ، فان هذه الفرق والنحل الاسلامية كانت تترى يأتي بعضها اثر بعض ، وربما تعاصرت ، وقد يخمل بعضها بنهاة بعض ، أو تندغم احداها في الاخرى ، لما يجمعهما من القول بمسائل تتفقان عليها ، ومن ذلك المعتزلة مع الجهمية ، فان المعتزلة اخذت عن الجهمية القول بنفي الرؤية والصفات وخلق الكلام ووافقها عليها ، وان كان لكل فروع واختيارات غير ما للأخرى ، الا ان ما توافقوا فيه من هذه المسائل الكبيرة جعلهم كأهل المذهب الواحد ، فلذلك اطلق ائمة الاثر لفظ الجهمية على المعتزلة ، فالامام احمد في كتابه الرد على الجهمية ، والبخاري في الرد على الجهمية ومن بعدهم ، انما يميزون بالجهمية في المعتزلة ، لأنهم كانوا في المتأخرين اشهر بهذه المسائل من الجهمية ، ولكن كان غرض المتقدمين بالرد والمناقشة الجهمية ، لانها الأم لغيرها ، والسابقة على سواها

في الظهور، بل هي اول فئمة ظهرت في الاسلام بمذهب التأويل، وقام حزبها بالدعوة الى مذهبها في ريعان الدولة الأموية كما تقدم، فلذا غلب عند السلف اسمها على غيرها ممن قاربها وتلقى عنها

بما ذكرناه يزول الاشكال والاشتباه الذي يراه بعضهم من ذكر الجهمية في تلك المسائل، مع انها في عرفهم وما يدرسونه في كتب الكلام المتأخرة مضافة الى المعتزلة. وحاصل دفع الاشكال ان تلقيهم بالجهمية إنما كان لما وجد من موافقتهم للجهمية في تلك المسائل مع مراعاة سبقهم فيها على المعتزلة، وتمهيدهم السبيل للتوسع فيها فاحفظه

قال الامام ابن تيمية في منهاج السنة^(١): لما وقعت محنة الجهمية نفاة الصفات في ارائل المائة الثالثة على عهد المأمون واخيه المعتصم ثم الواثق، ودعوا الناس الى التجهم وابطال صفات الله تعالى، وطلبوا أهل السنة للمناظرة، لم تكن المناظرة مع المعتزلة فقط، بل كانت مع جنس الجهمية من المعتزلة والنجارية والضرارية وانواع المرجئة، فكل معتزلي جهمي، وليس كل جهمي معتزلياً، لكن جهم اشد تعظيلاً، لأنه ينفي الاسماء والصفات. وبشر المريسي كان من المرجئة ولم يكن من المعتزلة، بل كان من كبار الجهمية اه

(٤) انتشار مقالة الجهمية بواسطة كبار المعتزلة وغيرهم

قال الامام ابن تيمية: لما كان، بعد المائة الثانية انتشرت المقالة التي كان السلف يسمونها (مقالة الجهمية) بسبب بشر بن غياث المريسي وذويه (ثم قال) وهذه التأويلات الموجودة اليوم بأيدي الناس مثل

أكثر التأويلات التي ذكرها أبو بكر بن فورك في كتاب (التأويلات) وأبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي سماه (تأسيس التقديس) ويوجد كثير منها في كلام غير هؤلاء مثل أبي علي الجبائي وعبد الجبار بن أحمد الهمداني وأبي الحسين البصري وغيرهم ، هي بعينها التأويلات التي ذكرها بشر المريسي في كتابه ، كما يعلم ذلك من كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمن البخاري ، وسمى كتابه (رد عثمان بن سعيد ، على الكاذب العنيد ، فيما افتري من التوحيد) فانه حكى هذه التأويلات باعيانها عن بشر المريسي ثم ردها ، ويعلم بمطالعة كتابه ان هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين الذين تسموا بالخلف هو مذهب المريسية إه

وقال الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة بشر المريسي : انه تفقه على أبي يوسف فبرع ، واتفق علم الكلام ، ثم جرد القول بخلق القرآن وناظر عليه ، ولم يدرك الجهم بن صفوان ، انما اخذ مقاله ، واحتج لها ودعا اليها إه



(٥) ظهور دولة الجهمية (المنزلة) في عهد المأمون ، ودعواه الى مذهبهم وما جرى على المشاهير في مسألة خلق القرآن

من سنن الاحزاب والفرق في هذا الكون ، أن كل حزب قويت غضبته وعصبيته ان يتناول الى الغلب ، ويتطال على الغلب ، فيصرف مستطاعه لهذه السبيل ، ويسمى جهده لتأييده من اي طريق امكن ، ابتغاء انقراذه ، وتكثير سواده ، فاذا اتيج لعصبة ما ان تمدها قوة سلطان قاهر ،

وجبار مستبد ، وجد لها من نفوذ الكلمة وانتشار الدعوة ، وكثرة الاعوان ، ما تبلغ به أقصى امانها ، والناس على دين ملوكهم بين راغب في حطامهم ، أو مقلد يتبع كل ناعق

وقد عرف الخليفة (المأمون) بمحبته للعلم والعلماء ، وشغفه في الحكمة والحكماء ، بل لم ير في اولاد الملوك من تعشق العلوم الحكيمية على حداثة سنه ، واقام بين العلماء لمناظرتهم في جميع انواع العلوم مثله ، فادخل عليه مرة الاوائل في مجلس من العلماء والادباء . وقد ورث ذلك عن ابيه (الرشيد) فقد كان العلماء والادباء لا يفارقونه في حضر ولا في سفر ، حتى أنه يطلب شاعره في أطراف الليل فيجده يبابه مع غيره من محدث أو نديم . وانما قرب العلماء الى الرشيد ما بنفسه من الميل الى الأدب ، والحرص على احراز العلوم ، حتى كانوا اذا اجتمعوا بداره سما الى مناظرتهم من حيث العلم والتواضع له ، لا من حيث السيادة عليهم ، وهو بموضعه الجليل من الخلافة . وكان من الفضل بحيث ان مادبه لم تخل قط من عالم أو أديب أو شاعر . وبلغ به التواضع لهم ان معاوية المحدث الضير كان اذا جلس الى طعامه قام الرشيد من موضعه وصب الماء على يده تعظيما لتقدير العلماء ، فقال له معاوية : يا أمير المؤمنين ان تواضعك في شرفك لأشرف من شرفك ، وكانت همة الرشيد مصروفة الى ترجمة كتب للفلاسفة من يونان وغيرهم بعد ان رأى جعفرًا وزيره يتنازع من صحفهم ما يأمر التراجمة بتعريبه ، ثم يعطيهم زنة الكتاب المعرب ذهبًا ، لان سوق العلم كانت نافقة عند البرامكة ، وهم الذين استنهضوا هم العلماء الى تعريب صحف الاعاجم ، فنافسهم الرشيد في ذلك ، وفي نفسه من الميل الى الأدب ، والتشوق الي

الاطلاع على كنوز الحكمة ما عرف ، فانفذ رسله في احراز الاسفار القديمة ، وامر بتعريبها ^(١) واخباره في العلم ومحاضرات العلماء كثيرة ولما افضت الخلافة الى ابنه (المأمون) اقتدى بآبيه أو اربى عليه ، فطارت شهرته في العلم والفلسفة ، الى أن حظي بقربه أحمد بن ابي دؤاد ^(٢) وكان ابتداء اتصاله به انه قال : كنت احضر مجلس القاضي يحيى بن اكرم مع الفقهاء ، فاني عنده يوما إذ جاءه رسول المأمون ، فقال له : يقول لك أمير المؤمنين انتقل الينا جميع من معك من اصحابك ، فلم يجب أن احضر معه ، ولم يستطع ان يؤخرني ، فحضرت مع القوم ، وتكلمنا بحضرة المأمون فأقبل المأمون ينظر اليّ اذا شرعت في الكلام ، ويتفهم ما أقول ويستحسنه ، ثم قال لي : من تكون ، فانتسبت له ، فقال : ما أخرك عن افكرهت ان احيل على يحيى فقلت : حبسة القدر وبلوغ الكتاب اجله ، فقال لا اعلمن ما كان لنا من مجلس الا حضرته فقلت : نعم يا أمير المؤمنين

وقيل : قدم يحيى بن اكرم قاضيا على البصرة من خراسان من قبل المأمون آخر سنة (٢٠٢) وهو حدث سنة نيف وعشرون سنة ، فاستصحب جماعة من اهل العلم والمرؤات ، منهم ابن ابي دؤاد ، فلما قدم المأمون بغداد في سنة (٢٠٤) قال ليحيى : اختر لي من اصحابك جماعة يجالسوني ويكثرون الدخول الي ، فاختر منهم عشرين فيهم ابن ابي دؤاد ثم قال : اختر منهم ، فاختر خمسة فيهم ابن ابي دؤاد وانصل امره ، واسند المأمون وصيته عند الموت الى اخيه (المعتصم) وقال فيها : « وابو عبد الله

(١) عن كتاب حضارة الاسلام

(٢) بضم الدال وفتح الهذرة الممدودة بعده ، على فؤاد

ابن ابي دؤاد لا يفارقك، أشركه في المشورة في كل امرك، فانه موضع ذلك،
ولما ولي (المتصم) الخلافة، جعل احمد بن ابي دؤاد قاضي القضاة،
وعزل يحيى بن اكثم وخص به احمد، حتى كان لا يفعل فعلا باطنا ولا
ظاهراً الا برأيه

وكان ابو العيناء يقول^(١): ما رأيت رئيساً قط أفصح ولا أنطق من
ابن ابي دؤاد، وكان اخذ عن واصل بن عطاء مسائل الكلام حتى تضيع
من الكلام، واصبح داعية اليه، فلما اتصل بالمؤمن دس له القول بخلق
القرآن، وحسنه عنده، وصيره يعتقد حقا مينا، الى أن أجمع رأي
المؤمن في سنة (٢١٨) على الدعاء اليه، فكتب الى نائبه علي بنداد اسحق
ابن ابراهيم الخزاعي ابن عم طاهر بن الحسين في امتحان العلماء كتابا
يقول فيه:

« وقد عرف أمير المؤمنين ان الجمهور الاعظم، والسواد الاكبر،
« من حشو الرعية، وسفلة العامة، ممن لانظرله ولا روية، ولا استضاءه
« بنور العلم وبرهانه، أهل جهالة بالله، وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة
« دينه، وقصور ان يقدروا الله حق قدره، ويمرفوه كنه معرفته، ويفرقوا
« بينه وبين خلقه، وبين ما انزل من القرآن، فاطبقوا على انه قديم لم
« يخلقه الله ويخترعه، وقد قال تعالى « انا جعلنا قرآنا عربيا » فكل ما
« جملة فقد خلقه^(٢) كما قال: « وجعل الظلمات والنور » وقال « نقص »

(١) عن تاريخ ابن خلكان

(٢) التفريع بالكلية انما يصح في مادة جعل بمعنى خلق كآية « وجعل لكم
السمع والابصار- وجعل الظلمات والنور » لا في جعل بمعنى صير، ففرق بين المنين =
٧ - تاريخ الجهمية والمنزلة

« عليك من أبناء ما قد سبق » فاخبر انه قصص لامور احده بعدها،
 « وقال » احكمت آياته ثم فصت « والله محكم آياته ومفصله ، فهو خالقه »
 « ومبتدعه ، ثم اتسبوا الى السنة ، وانهم أهل الحق والجماعة ، وان من »
 « سواهم أهل الباطل والكفر ، فاستطالوا بذلك وانغروا به الجهال ، حتى »
 « مال قوم من أهل السمات الكاذب ، والتخشف لغير الله ، الى موافقتهم ، »
 « فزرعوا الحق الى باطلهم ، واتخذوا من دون الله وليجة الى ضلالهم »

الى أن قال

« فرأى أمير المؤمنين ان اوائك شر الامة ، المنقوصون من التوحيد
 حظا ، أوعية الجهالة ، واعلام الكذب ، ولسان ابليس الناطق في
 أوليائه ، والهائل على اعدائه ، من أهل دين الله . واحق ان يتهم في
 صدقه ، وتطرح شهادته ولا يوثق به ، من عمي عن رشده وحظه من
 الايمان بالتوحيد ، وكان عما سوى ذلك أعمى وأضل سبيلا ، ولعمر أمير
 المؤمنين أن أ كذب الناس من كذب على الله ووجيهه ، وتخرص
 الباطل ، ولم يعرف الله حق معرفته ، فاجمع من بحضرتك من القضاة ،
 فاقربا عليهم كتابنا ، وامتحنهم فيما يقولون ، واكشفهم عما يمتقدون في

= الخلق والتصير ، فكما ورد في التنزيل جعل بمعنى خلق ، فقد ورد بمعنى صير ،
 ومنه آية « انا جعلناه قرآنا عربيا » اي صيره قرآنا عربيا وأنزله بلغة العرب ولسانها ،
 ولم يصيره أعجميا فينزله بلغة العجم ومنه آيات « يادود انا جعلناك خليفة في الأرض -
 وجعلوه من المرسلين - جعله دكا - ربنا واجعلنا مسلمين لك - رب اجعل هذا البلد آمنا »
 وامثالها مما جعل فيه بمعنى التصير البتة . وليس كتابنا هذا لامناقشة واتمهجيص ،

فلا تطيل بذلك

خلق الله واحداً ، وأعلمهم اني غير مستعين في عمل ولا واثق بمن لا يوثق بدينه ، فاذا اقرؤا بذلك ووافقوا فرهم بنص من بحضرتهم من اليهود ، ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك شهادة من لم يقر أنه مخلوق ، واكتب لنا بما يأتيك عن قضاة أهل عمالك في مسألتهم والامر لهم بمثل ذلك .

هذه صورة كتاب المأمون في المحنة ، وقد ذيله باشخاص كبار فقهاء بغداد وأئمة الاثر والرواية ، وتم الامر بالمحنة التي طار شررها وطل ضررها ، واشتهر من بين رجالها (الامام احمد بن حنبل) رحمه الله ورضي عنه ، ولها في التاريخ ذيل طويل ، ومن استوفى اطرافها التاج السبكي في طبقاته ، فايرجم اليها المستزيد

ثم موضع الغرابة من كتاب المأمون ، هو حمل الناس على غير ما يعتقون ، واكراههم على امر لم تمض به سنة ، ولم يجدوا فيه برهاناً من أنفسهم ، مع أن الاكراه على أصل الأصول ، وما به العصمة والنجاة ، — وهو الدين الخالص — قد اباه الشرع ونهى عنه في غير ما موضع من التنزيل الكريم ، كآية « لا اكراه في الدين » وآية « أفأنت تكفره الناس حتى يكونوا مؤمنين » وآية (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) ولكن سكرة الدولة ، وانقلاب الرأي عتيقة بالتسليم والتقييد ، وعظم الطول والقدرة ، كل ذلك يحول دون الانصاف والاعتدال غالباً وقد يظن ان ما اذاقه المأمون من الاضطهاد لرجال محنته ، كان باعته ما اشار اليه في رسالته من نبر من اضطهدهم لجماعته بالكفر والضلال ، واشاعتهم ذلك بين العامة ، اذ قال في رسالته المتقدمة اعذاراً لمن

يلم به الملام « ثم اتسبوا الى السنة ، وانهم أهل الحق والجماعة ، وأن من سواهم اهل الباطل والكفر ، فاستطالوا بذلك واغروا به الجهال » وجلي انه لا يطيق الصبر على هذا فئة رأسهم في هذا المعتقد الخليفة فقضاته ووزراؤه نعم قد يمكن ان يكون ذلك من بواعثه ، وقد يكون انتقاما من اضطهاد سابق ، ومقابلة له بالمثل في جزاء الاعتداء بنظيره ، اذ كان للأثرية دولة في عهد الامويين وصدرآ من الخلافة العباسية ، وكانت اقوالهم في تكفير مخالفينهم من الجهمية ، ورميهم بالزندقة ، وهدر دمهم ، تفري بهم ، وتحفظ الامراء عليهم ، وتستفز ذوي البطش منهم على الايقاع بهم ، كما يدري ذلك من سبر أقوالهم في الجهمية ، ولم يكن قتل الجعد بن درهم وغيلان الدمشقي ، بل ومثل محمد بن سيعد الشامي المصلوب ^(١) الا من جراء مقالاتهم فيهم ، والتاريخ ابو العجب

وقد كان بدء المحنة بالقول بمخلق القرآن سنة (٢١٨) الى ان افضت الخلافة الى المتوكل . فأمر سنة (٢٣٤) بترك النظر والمباحثة والجدال وترك ما عليه الناس في ايام المعتصم والوائق من القول بمخلق القرآن ، وأمر الناس بالتسليم والتقليد ، وأمر الشيوخ المحدثين باظهار السنة والجماعة . ولكل زمان دولة ورجال .

قال نابغة البلغاء ابو بكر الخوارزمي في احدى رسائله : ليس من فرق الاسلام فرقة ، الا وقد هبت لاهلها رويحة ، ودالت لها دولة ، كما

(١) أهموه بالزندقة ، واغروا به ابا جعفر المتصور فصلبه ، مع ان غايته ما رمي به انه كان يضع الحديث ، ومع ذلك فقد روى عنه الثوري ومروان الفزاري وابو معاوية والحارثي وآخرون ، وقد غيروا اسمه على وجوه سترأ له . انظر بسط ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي

اتفق المختار بن عبيد الله للكيسانية ، ويزيد بن الوليد للغيلانية ، و ابراهيم ابن عبيد الله للزيدية ، والمأمون لسائر الشيعة ، والمعتمد والواثق للمعتزلة ، والمتوكل للنواصب والحشوية إهـ



(٦) اول بن صنف من المعتزلة في عناية الانرية

قال السفاريني في شرح عقيدته : معظم خلافيات علم الكلام مع الفرق الاسلامية خصوصا المعتزلة ، لانهم اول فرقة اسسوا قواعد الخلاف ، لما ورد به ظاهر السنة ، وجرى عليه جماعة الصحابة رضي الله عنهم . فأول من صنف في علم الكلام والجدال والخصام مع أهل السنة والجماعة ابو حذيفة واصل بن عطاء ، وهو رئيس المعتزلة واول من سمي معتزليا ، وله من التصانيف كتاب المنزلة بين المنزلتين وكتاب الخطب في العدل والتوحيد ، وكتاب السبيل الى معرفة الحق ، وكتاب معاني القرآن ، وكتاب ماجرى بينه وبين عمرو بن عبيد ، وكتاب التوبة ، وله غير ذلك ، وكانت ولادته سنة (٨٠) وتوفي سنة (١٣١)

قال ابن خلكان : كان واصل احد الائمة البلغاء المتكلمين وكان في ايام

عبد الملك وهشام بن عبد الملك ، — كما حكاه الشهرستاني

ومثله في السبق الى التصنيف في ذلك عمرو بن عبيد — من كبار ائمة

المعتزلة له كلام كثير في العدل والتوحيد على اعتقاد المعتزلة توفي سنة (١٤٣)

قال الذهبي في الميزان : كان المنصور — الخليفة الشهير — يخضع

لزهد عمرو وعبادته ويقول : كلسم يطلب صيد * غير عمرو بن عبيد

(٧) تلقب المعتزلة بالقدرية وسبب التسمية بذلك

قال الشهرستاني: المعتزلة يسمون اصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية: وذلك لاسنادهم افعال العباد لقدرهم وانكارهم القدر فيها موافقة لرأي معبد الجهني، وغيلان دمشقي القدريين

وقال ابو منصور البغدادي في كتاب (الفرق) في تعداد المسائل التي اتفق عليها القدرية المعتزلة: ومنها قولهم جميعا بان الله تعالى غير خالق لأكساب الناس، وان الناس هم الذين يقدرون اكسابهم، وانه ليس لله تعالى في اكسابهم صنع ولا تقدير، ولا اجل هذا سماهم أهل السنة قدرية اه وقال ابن الاثير: سموا قدرية لانهم اثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى، ونفوا ان تكون الاشياء بقدر الله وقضائه. وقد قالوا لمخالفيهم انتم الأولى بتسمية القدرية، لانكم تجعلون الاشياء جارية بقدر من الله، ومثبت الشيء احق بالنسبة اليه من نافية، فاجابهم المثبتون بان مثبت الشيء لنفسه أولى بالنسبة اليه ممن نفاه عن نفسه إه وقال الامام ابن تيمية: في آخر عصر الصحابة حدثت القدرية، واصل بدعتهم كانت من عجز عقولهم عن الايمان بقدر الله، والايمان بامرهم ونهيهم، ووعدده ووعيده، وظنوا ان ذلك ممتنع، وكانوا قد آمنوا بدين الله وامره ونهيهم، ووعدده ووعيده، وظنوا انه اذا كان كذلك لم يكن قد علم قبل الأمر من يطيع ومن يعصي، لانهم ظنوا ان من علم ما سيكون، لم يحسن منه ان يأمر وهو يعلم ان المأمور يعصيه ولا يطيعه، وظنوا أيضاً انه اذا علم انهم يفسدون لم يحسن ان يخفى من يعلم انه يفسد، فلما بلغ قولهم بانكار القدر السابق للصحابة انكروا انكاراً عظيماً وتبرؤا منهم، حتى قال

عبد الله بن عمر : اخبر اونثك اني بريئ منهم وانهم مني براء ، والذي يحلف به عبد الله بن عمر ، لو ان لأحدهم مثل احد ذهباً فائقه ما قبله الله . منه حتى يؤمن بالقدر . وذكر عن ابيه حديث جبريل ، وهذا اول حديث في صحيح مسلم ، وقد اخرجه البخاري ومسلم من طريق ابي هريرة أيضا مختصراً ثم كثر الخوض في القدر ، وكان اكثر الخوض فيه بالبصرة والشام وبعضه في المدينة . فصار مقتصدوم وجمهورهم يقرون بالقدر السابق وبالكتاب المتقدم ، وصار نزاع الناس في الارادة وخلق أفعال العباد ، فصاروا في ذلك حزينين ، النفاة يقولون : لا ارادة الا بمعنى المشيئة ، وهو لم يرد الا ما امر به ، ولم يخلق شيئاً من افعال العباد . وقابلهم المخائضون في القدر من المجبرة مثل الجهم بن صفوان وامثاله ، فقالوا : ليست الارادة الا بمعنى المشيئة ، والامر والنهي لا يستلزم ارادة ، وقالوا : العبد لا فعل له البتة ولا قدرة ، بل الله هو الفاعل القادر فقط . وكان جهم مع ذلك ينفى الاسماء والصفات ! هـ .

* *

(٨) أول من تكلم في القدر

اشتهر ان أول من احدث القول بالقدر (معبد الجهني) قال الذهبي في الميزان : هو تابعي صدوق لكنه سن سنة سيئة ، فكان اول من تكلم في القدر . قتله الحجاج صبراً لخروجه منع ابن الاشعث اه وكان اوألاً يجلس الى الحسن البصري ثم سلك أهل البصرة بعده مسلكه لمسا روا عمرو بن عبيد ينتحله

يروى ان من اول تكلم في القدر (غيلان بن ابي غيلان الدمشقي)

ويقال انه اخذ عن معبد، ولا منافاة فالاولية نسبية ، بمعنى ان كلا منهما سبق وتقدم على كل من خاض في القدر بعدهما
 وغيلان هذا كان مولى عثمان بن عفان ، وكانت داره بدمشق في ربيع باب الفراديس شرقي دمشق . وحكي ابن عساكر ان عمر بن عبد العزيز كان لام غيلان على رأيه ، فكف عن ذلك حتى مات عمر ، فلما مات سال غيلان في القدر سيل الماء ، وكان يفتي الناس لما حج مع هشام سنة (١٠٦) . قال الازاعي : قدم علينا غيلان القدري في خلافة هشام ابن عبد الملك ، فتكلم غيلان وكان رجلا مفوِّها ، ثم اكثر الناس الوقيعة فيه والسعاية بسبب رأيه في القدر ، واحفظوا هشام بن عبد الملك عليه ، فأمر بقطع يديه ورجليه وقتله وصلبه

* *

(٩) رجال الجهمية والمعتزلة (القدرية) ممن روى لهما الشيخان

البخاري ومسلم في صحيحهما

من المقرر في الاصول ان ائمة الرواية والأثر لم يتجافوا الرواية عن المبدئين ، فقد تحملوا عن الشيعة والمرجئة والقدرية والخوارج وغيرهم . ومع تصلب الشيخين في الرواة وتحريمهما ، لم يريا مانعا من الرواية عن أعلام من رمي ببدعة ، اتجاعا للعلم واستقاء للحكمة من مناهاها . وقد سبر الحافظ ابن حجر في مقدمة الفتح اسماء من بذلك ممن خرج البخاري . وسرد الحافظ السيوطي في (تدريب الراوي شرح تقريب النواوي) منهم من خرج له الشيخان او احدهما . واما من رمي بذلك ممن روى لهم غير الشيخين فقد تكففت به كتب الرجال . ومن اشهرها الآن (نقد الرجال) للحافظ الذهبي

ولما كان محثنا في الجهمية والمعتزلة رأيت مما يتممه ايراد من سُني من رجالهما في الصحيحين ليعلم بذلك تسامح المحدثين في الاخذ بمن رمي ببدعة — اذا كان ثقة صدوقا — وفي تلقي السنة منه طرحا للتعصب ، واعترافا بقدر ذوي الفضل

(٧) (بشر بن السري) قال السيوطي : رمي برأي جهم — وهو نفي صفات الله تعالى والقول بخلق القرآن — وقال الذهبي : حديثه في الكتب السنة ، روى عنه الامام أحمد ، وقال كان متقنا للحديث عجبا . وقد زعم الذهبي انه رجع عن التجهم ، لكن يبطله تعصب الحميدي عليه ، وقوله : جهمي لا يحل ان يكتب عنه ، فمع كونه جهميا روى عنه الائمة المشاهير ، ولم يخفوا بقول الحميدي ولا غيره فيه

(٢) ثور بن زيد المدني (٣) ثور بن يزيد الحمصي (٤) حسان بن عطية الخماري (٥) الحسن بن ذكوان (٦) داود بن الحصين (٧) زكريا بن اسحق (٨) سالم بن عجلان (٩) سلام بن عجلان (١٠) سلام بن مسكين (١١) سيف بن سليمان المكي (١٢) شبيل بن عباد (١٣) شريك بن ابي نمر (١٤) صالح بن كيسان (١٥) عبد الله بن ممر (١٦) عبد الغله بن ابي لييد (١٧) عبد الله بن ابي نجيح (١٨) عبد الاعلى بن عبد الاعلى (١٩) عبد الرحمن بن اسحق المدني (٢٠) عبد الوارث بن سعيد الثوري (٢١) عطاء بن ابي ميمونة (٢٢) العلاء ابن الحارث (٢٣) عمرو بن ابي زائدة (٢٤) عمران بن مسلم القصير (٢٥) عمير بن هاني* (٢٦) عوف الاعرابي (٢٧) كهس بن المنهال (٢٨) محمد ابن سواء البصري (٢٩) هرون بن موسى الاعور النحوي (٣٠) هشام

الدستوائي (٣١) وهب بن منبه (٣٢) يحيى بن حمزة الحضرمي قال السيوطي : هؤلاء رموا بالقدر ، وكلهم ممن روى له الشيخان أو أحدهما إه وقال ابن تيمية : في هؤلاء — يعني القدرية — خلق كثير من العلماء والعباد ، كتب عنهم واخرج البخاري ومسلم لجماعة منهم . وقال الامام احمد : لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا اكتر اهل البصرة ، قال ابن تيمية : وهذا لأن مسألة خاق افعال العباد و ارادة الكائنات مسألة مشككة إه

* *

(١٠) بيان ان الجهمية والمعتزلة لهم ما للمجتهدين

كما ان اسم الاجتهاد يتناول في عرفهم فروع الفقه ، فكذلك مسائل الكلام لعموم مفهومه لغة واصطلاحاً ووجوداً ، فان الفرق التي تنوع اجتهادها في مسائل الكلام ، ربما تربو على مجتهدى الفروع ، وكيف لا تكون من المجتهدين وهي تستدل وتحكم ، وتبرهن وتقضي ، وتجادل خصومها بما أخذها ، وترى ان ما تستدل عليه هو الحق الذي لا يعقد على سواه ، ولا يدان الحق تعالى بغيره ؟

وجلي ان ما يبعث على بذل الجهد في الفروع ، هو نظير ما يبعث عليه في الاصول أو اعظم ، فان مسألة الرؤية وخلق الاعمال وخلق القرآن و ارادة الكائنات ، لما تشابهت الآيات والايخبار فيها ، ذهب كل فريق الى ما رآه ارفق لكلام الله وكلام رسوله عليه الصلاة والسلام ، وألحق بمظمة الله سبحانه وثبات دينه ، فكانوا لذلك مجتهدين ، وفي اجتهادهم مأجورين ، وان كانوا في القرب من الحق متفاوتين

نعم لا يمكن ان يقال في مسائل الاصول ان كل مجتهد فيها مصيب ، وان الحق فيها متعدد ، كما قاله الاكثرون في غيرها من مسائل الفروع المجتهد فيها ، وذلك لان مسائل الاصول امور ذاتية لا تختلف بالاضافة ، ولا تحتمل اجتهادين يمكن ان يكون الامر على هذا أو ذلك ، بل لا بد من كونه على احدهما البتة ، والامور الذاتية لا تتبع الاعتقاد ، بل الاعتقاد يتبعها ، فلذلك كان المصيب فيها واحدا ، والحق منها واحداً ، والمخطئ معذورا غير آثم ، لأنه بذل وسعه ، واستنفد طاقته ، وما يراه غيره نصا يراه هو غير نص ، فالحقيقة عند احدهما مجاز عند الآخر ، وبالعكس .

وقد ذهب الغزالي الى ان الآثم غير محطوط عن المخالفين في مسائل الاصول . وحجته اتفاق سلف الأمة على ذم المبتدعة ومهاجرتهم ، وقطع الصحبة معهم ، وتشديد الانكار عليهم ، مع ترك التشديد على المختلفين في مسائل الفرائض وفروع الفقه : هذا ما احتج به الغزالي . وعجيب من مثله ان يعد هذا دليلا على تأييمهم ! واي مناسبة بين الدعوى والدليل ؟ على ان دعوى الاتفاق على ذم المبتدعة ومهاجرتهم مردودة بتلقي ائمة الحديث عن كثير منهم ، وحمل السنن النبوية عنهم ، وجعلهم في الآثار حجة بينهم وبين ربهم ، وقد سبق لنا عدة ممن روى لهم الشيخان من الجهمية والمعتزلة والقدرية . وبقي ممن روي لهم من الاباضية والمرجئة والشيعية عدد عديد كما تراه في مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر والتدريب شرح التقريب للسيوطي وميزان الاعتدال للذهبي . وقد منا ما قاله الامام أحمد رحمه الله ورضي عنه : لو تركنا الرواية عن القدرية لتركنا أكثر أهل البصرة : (قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله) وفي

هؤلاء خلق كثير من العلماء والعباد كتب عنهم واخرج البخاري ومسلم
 لجماعة منهم (ثم قال) لكن من كان داعية لم يخرج جواله ولهذا لم يخرج
 اصحاب الصحيح لمن كان داعية إهـ

وقد اشتهر هذا (اعني أن من كان داعية الى بدعته لم يخرج جواله)
 مع ان العراقي اعترض ذلك بان الشيخين احتجا بالدعاة، فاحتج البخاري
 بمران بن حطان الخارجي، واحتجا بعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني،
 وكان داعية الى الارزاء، فاني يستقيم مع ذلك دعوى هجران السلف
 لهم، وقطع الصحبة معهم، وهم قد حملوا عنهم من السنة ما لم يوجد عند
 غيرهم، واصبح مرويتهم حجة دامغة ابد الآباد؟ نعم كان بعض السلف
 ساق بعض متقدمي الجهمية والتدريية بالسنة حداد، ورموهم بما هم برآء
 منه، وكان ذلك ايام ضعفهم وقتلتهم، اما وقد انتشر مذهبهم بعد، ودالت
 الدولة لهم، ودخل فيه قوم من العلماء والعباد، فلم يسع من عاصرهم من ائمة
 الحديث الا التحمل عنهم وانصافهم، كما رأيت في عبارة الامام احمد المتقدمة
 فنيين مما ذكرناه ان ماعول عليه الغزالي في المستصفى لا يصح دليلا
 ولا شبهة مع ما عرفت من تخریج الشيخين عنهم، بله غيرهما، ممن نزل
 شرطه في تخریجه عن شرطهما، كاصحاب السنن والمسائيد والمعاجم، فان
 هذه الكتب ملأى بالمبدعين من الفرق كلها، كما يعرفه من سبر طبقات
 الرجال، ورأى رموز من خرج لهم من الرواة المشاهير

وبالجملة فيكون هذه الفرق مجتهدة لها ماللمجتهدين، امر لا يرتاب
 فيه منصف، والمجتهد معذور بل مأجور وان اخطأ، واذا انتفى الاثم
 عن المجتهد فاني يصح نزهه بالانقاب السوءى والحفيظة عليه، وهل فرق

الاثمة وجعلها شيئا واذهب ربحها الا هذا التناز والازراء المعيب ، مع ما يجمع الكل من اخوة الاسلام ؛

واقدم انصف العلامة القبلي في قوله في بحث الكلام مع المعتزلة من كتابه العلم الشاخر ما مثاله : اني لست بمعتزلي ولا اشعري ، ولا ارضى بغير الاتساب الى الاسلام ، وصاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام ، واعدت الجميع اخوانا ، واحسبهم على الحق اعوانا . انتهى

ومن طالع كتاب (حجج القرآن) للامام احمد الرازي الحنفي رحمه الله ، ورأى تمسك كل فرقة من فرق الاسلام بآيات واخبار ذهب بها اجتهادها الى انها نصوص أو ظواهر فيما تذهب اليه ، عذرهما ورحمهما ، وعلم انها لم تكمل جزافا ، وانما وزنت الامر بمعيار ما ادى اليه النظر ، وتوخت الحق جهدها . نعم ليس كل من يتوخى الحق يصيبه ، إلا انه ليس على باذل جهده ملام ، والسلام

وقد حكى السبكي في طبقاته عن ابيه انه وقف لبعض المعتزلة على كتاب سماه (طبقات المعتزلة) افتتح بذكر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ظنا منه انه منهم وعلى عقيدتهم (قال السبكي) وهذا نهاية في التعصب ، فانما ينسب الى المرء من مشى على منواله به وجلي ان الذي اوصاهم الى عد الصحابة منهم ، هو الشنف بمذهبهم ، والاعتقاد بأنه الحق والصواب . ولا غرو فان الواليع بمذهب يحاول ان يرد الكتاب والسنة وخيار الناس اليه ، بيد ان من هؤلاء مجتهدين ، ومنهم مقلدون ، ويذمهما بون عظيم ، فان المجتهدين يؤثرون مذهبهم لما يرشدهم ادليل اليه ، فهم يستدلون ثم يمتقدون ، واما المقلدون فهم يؤثرون مذهبهم حبا او عصبية ، فيمتقدون

ثم يستدلون لما يعتقدون، فان رأوا خلافا عرضوا عنه: «فما أضيع البرهان عند المقلد»

قال الامام أحمد بن المختار الرازي في مقدمة كتابه (حجج القرآن) لما استخرج منه حجج كل طائفة ما مثاله: وما من فرقة الا ولها حجة من الكتاب، وما من طائفة الا وفيها علماء، نحاربر فضلاء، لهم في عقائدهم مصنفات، وفي قواعدهم مؤلفات، وكل منهم يؤول دليل صاحبه على حسب عقيدته ووفق مذهبه، وما منهم من أحد الا ويعتقد انه هو الحق السعيد، وان مخالفه لفي ضلال بعيد «كل حزب بما لديهم فرحون» (قال) وليس قصدنا بيان مقولات المتكلمين، من المتأخرين والمتقدمين، ولكن القصد ان نذكر جميع حجج القرآن بطريق الاستيعاب، ثم نذكر حجج الحديث، لكل قوم من القديم والحديث، لكيلا يعجل طاعن بطعنه في فرقة، ولا يغلو قاذح بقدمحه في طائفة اه

وكتابه هذا بديع جدا، رتبه على ثلاثين بابا، في كل باب فصول حجة، وقال رحمه الله في خاتمته ماصورته: هذا آخر ما اوردنا من حجج القرآن، لجميع اهل الملل والاديان، وهي (بمجموعها حجة) على اصحاب الظواهر الذين يأبؤون التأويل، وينسبون مخالفيهم الى التعطيل (وحجة ايضا) على المتعصبين الذين يقابلون مخالفيهم بالتكفير والتضليل، والتخطئة والتجهيل، (وحجة ايضا) على من ينكر النظر في كتب الاصول، أو يقول فيها بالمنقول دون المعقول (وحجة ايضا) على من يكفر أهل القبلة، أو يميز طائفة بالاملة، أو يخرجهم ببدعة عن الملة (وحجة ايضا) على من يجزم على مجتهد واحد بالاصابة، أو يعجل في تضليل فرقة وعصاة (وحجة ايضا) على العلماء

قاصرين أيضا في العريية ، الغالين في الجدل والمصيبة إهـ

* *

(١١) شبهة الاثرية في اضطهاد الجهمية ، والجهمية في اضطهاد الاثرية

لما دالت لكل منهم الدولة ، وفيه اعتذار بقلم الجاحظ

قدّمنا ان شيوخ الرواية ، وأعلام الأثر ، كانوا يفرون الامراء بمخالفتهم ، لما يذيعونه من تكفيرهم وزندقتهم ، وتم لهم الامر في مثل غيلان والجمد ومحمد بن سعيد المصلوب وامثالهم ، — كما حكيناه قبل . قال الامام ابن تيمية في بعض فتاويه : ان السلف الذين كفروا الجهمية ، قالوا يستتابون فان تابوا والا قتلوا (قال ابن تيمية) لكن من كان مؤمنا بالله ورسوله مطلقا ، ولم يبلغه من العلم ما يبين له الصواب ، فانه لا يحكم بكفره ، حتى تقوم عليه الحجة التي من خالفها كفر ، اذ كثير من الناس يخطيء فيما يتأوله من القرآن ، ويجهل كثيرا مما يرد من معاني الكتاب والسنة ، والخطأ والنسيان مرفوع عن هذه الأمة ، والكفر لا يكون الا بعد البيان (قال) والائمة الذين امروا بقتل مثل هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله في الآخرة ، ويقولون القرآن مخلوق ونحو ذلك ، قيل انهم امروا بقتلهم لكفرهم ، وقيل لانهم اذا دعوا الناس الى بدعتهم اضلوا الناس ، فقتلوا لاجل الفساد في الارض ، رحمة لادين الناس ان يضلوا إهـ هذا ما حكاه الامام ابن تيمية في شبهة من امر بقتلهم ، وقد حكى الشبهتين بصيغة التمريض ، ليشير الى ان ما زعموه دليلا ليس بدليل ولا شبهة ، فان سفك دم المعصوم انما يكون بامر قاطع ، قد نص عليه نصا لا احتمال فيه ولا اشتباه اذ مثله يكون من المحكمات الواضحات ،

والاحكام الجليسات ، لا تتجاذبه الآراء ، وتتراذه الاقوال ، لانه لا اعظم بعد الشرك من سفك دم المعصوم ، وكل من اتى بالشهادتين فقد عصم دمه الابحمة المنصوص عليه ، والاحاديث في ذلك كثيرة شهيرة لا حاجة الى ايرادها ، وكلها متفقة على ان كل من اظهر الاسلام فقد عصم دمه وماله ، وإن كان يخفي جحوداً أو تعطيلاً كالمنافيين ، لان لنا الظاهر ، والله يتولى السرائر

اذا كان هذا الحكم في العصمة يعم المنافقين ، فكيف لا يتناول من لا يشك في ايمانه ، ويبدل وسمه لحفظ العقيدة ، فاني يستحل دمه لمجرد انه تأول بابا من ابواب العلم ، خالف فيه رأي غيره ، مع انه لم يجحد من الدين شيئاً ؛

ومن هذا كل ما ذكروه في قتل الزنديق ، فانه لا حاجة فيه قاطعة ، ولا بيينة ناصعة ، كما أوضحته في تعليقاتي على (الروضة الندية) للسيد صدق حسن خان ، والمدقق يرى انه لا يمكن ان يؤتى في مسألة قتل الزنديق ببرهان من كتاب الله ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لامن نصي محكم ولا من ظاهر ولا من آحاد ولا صحيح ولا حسن ، لان الزنديق ان اظهر الاسلام ، اسر الإلحاد فكمه كالمنافق ، وبالاجماع هو معصوم الدم . وان جهر بالكفر فلا يحكم عليه بالردة الا بعد ان تزاح كل علة ، ولا يبقى لمرتاب شبهة ، وهنالك تجري عليه احكام المرتدين

وقد تقرر اجماعاً ان الحدود تدرأ بالشبهات ، فمن عكس القضية ان تجلب الحدود بالشبهات ، والبحث يدرية حق الدراية من تطاب لكل فرع دليhle من الكتاب او السنة ، ولم يعول الا عليهما

وبالجملة فدعوى كفر مثل هذه الفرق مردودة بما ذكرنا . وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ، في كتابه (موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول) ان الكفر يكون بتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ، او الامتناع عن متابعتة ، كما سنأثره عنه بعد مفصلا في بحث « حظر الائمة المحققين ، من رمي فرق المسلمين بالتكفير » فسقط دعوى هدر دمهم بالتكفير

واما دعوى استحلال دمهم بانهم من السعاة في الفساد في الارض ، فردودة بان الآية لا تعم مثلهم قط وان جريتنا على ان العبرة بعموم اللفظ ، لأن العموم في الآية انما هو فيما شابه الحالة التي نزلت فيها أعني فيمن كان محاربا لله . رسوله محادًا لهما ، متظاهراً بالكفر بالدين ، ساعياً بافساد البسالة بالقتل والنهب واخلال الأمن ، فالعموم هو في كل من انصف بذلك ، في أي زمان ومكان ، فمن أين يشمل عموم الآية من كان مؤمناً قانتاً محافظاً على شعائر دينه ، متأولاً في ابواب من العلم ما تنسع له اللغة ، ولا ياباه اللسان ، وهو لم يرذ من لفظ الآية لا منظوقاً ولا مفهوماً ، ولم تنزل في مثله . وفي الحقيقة هذا جلي لا يحتاج الى ان ينبه على مثله ، لان هذه الفرق المتأولة مؤمنة موحدة مطيعة لله ورسوله ، ليست محاربة لله ورسوله ، ولا محادة لهما ، ولا سانية في الارض بالفساد قتلا ونهباً ، فمن الحال ان يدعى شمول الآية لها ، وهل يؤم المؤمنين ما نزل في الكافرين ، والقاتل بذلك من السلف مخطئ في اجتهاده ، أو أنه لم يبذل الوسع فيه ، ولذلك خالف فيه الائمة المحققون واجمعوا على عدم تكفيرهم كما سيأتي ماثورا

وكان الذي سبب لهم ما سبب من الاضطهاد، هو ضعفهم في اول الامر وقتهم، ولذلك لما كثروا وقوي حزبهم، وتمذهب لهم في عهدهم من كل ورع وتقي، من هو قدوة وعدل رضي، لم ير مخالفوهم بدأ من تحمل الحديث والعلم عنهم، حرصا على الحكمة ان تضعي بموت اهلها، كما قدمنا عن الامام احمد، في اعتذاره عن الرواية عن القدرية، منع انهم فرقة من الجهمية - هذا ما كان من امر الاثرية، في اضطهاد الجهمية - واما الجهمية (المعتزلة) فقد اعتذروا عن اضطهاد خصومهم - الاثرية - لما دالت لهم الدولة، بما قدمناه من نص كتاب المأمون في المحنة المشهورة، وبما اوضح بعضه ايضا خطيبهم (الجاحظ) فقد قال^(١) :
« وبعد فحن لم نكفر الا من اوسعناه حجة، ولم نمتحن الا اهل التهمة، وليس كشف المتهم من التجسس، ولا امتحان الظنين من هتك الاستار، ولو كان كل كشف هتكا، وكل امتحان تجسسا، لكان القاضي اهتك الناس لستر، واشد الناس كشفا لعورة، (قال) والذين خالفوا في العرش انما ارادوا نفي التشبيه فغلطوا، والذين انكروا أمر الميزان انما كرهوا ان تكون الاعمال اجساما واجزأما غلاظا، فان كانوا قد اصابوا فلا سبيل عليهم، وان كانوا قد اخطأوا فان خطأهم لا يتجاوز بهم الى الكفر، وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيهه للخاتق بالخلق، بين المذهبين أبين الفرق، وقد قال صاحبكم^(٢) للخليفة المعتصم - يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخلصين، إعداراً وانذاراً - : امتحنتني وانت

(١) قلا عما طبع له في حاشية الكامل للمبرد ج ٢ ص (١٣١) فما بعدها

(٢) يعني الامام أحمد رحمه الله يخاطب به الاثرية

تعرف ما في المحنة ، وما فيها من الفتنة ، ثم امتحنتني من بين جميع هذه الأمة . قال المعتصم : وجدت الخليفة قبلي قد حبسك وقيدك ولو لم يكن قد حبسك على تهمة ، لامضى الحكم فيك ، ولو لم يمتحك على الاسلام ما عرض لك ، فسؤالي اياك عن نفسك ليس من المحنة ، ولا من طريق الاعتساف ، ولا من طريق مكشوف العورة ، اذا كانت حالك هذه الحال ، وسبيلك هذه السبيل .

(ثم قال الجاحظ) وكان آخر ما حيج^(١) فيه ان احمد ابن ابي دواد قال له : أليس لاشي من الاقديم او حديث ؟ قال : نعم ، قال او ليس القرآن شيئا ؟ قال نعم ، قال : أو ليس لاقديم الا الله قال : نعم ، قال : فالقرآن اذا حديث . قال ليس انا متكلم (ثم قال الجاحظ) وزعم^(٢) يومئذ ان حكم كلام الله تعالى كحكم علمه ، فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثا ومخلوقا ، فكذلك لا يجوز ان يكون كلامه مخلوقا ومحدثا . فقال له ابن ابي دواد : اليس قد كان الله يقدر ان يبدل آية مكان آية ، وينسخ آية بآية ، وان يذهب بهذا القرآن ويأتي بغيره ، وكل ذلك في الكتاب مسطور ؟ قال نعم . قال : فهل كان يجوز هذا في العلم ؟ وهل كان جائزا ان يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره ؟ قال : لا ، وقال له روينا في تثبيت ما نقول الآثار ، وتلونا عليك الآية من الكتاب ، واريناك الشاهد من العقول التي بها لزم الناس الفرائض ، وبها يفصلون بين الحق والباطل ، فعارضنا انت الآن بواحدة من الثلاث ، فلم يكن ذلك عنده .

(١) يعني الامام احمد رحمه الله

(٢) يعني الامام احمد ايضا

(ثم قال الجاحظ) وعبتم علينا اِكْفارنا اِباكم، واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث، وقلم تكفرونا على انكار شيء يحتمل التأويل، ويثبت بالاحاديث؟ فتمد ينبغي لكم ان لا تحتجوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن والحديث، وان لا تكفروا احدا خالفكم في شيء، وانتم اسرع الناس الى اِكْفارنا، والى عداوتنا والنصب لنا. كلام الجاحظ فانظر الى حججهم وحجاجهم، واعتذار الخليفة وقشد بالخوف على الاسلام من خصوصهم، تعلم انه بلغ عقدهم بمذهبهم مبلغا لا غاية وراءه من التيقن والتصاب، مع ان كل ما ذكره لا يحل اضهادهم لمخالفهم، اذ الرأي انما يدفع بالحجة والبرهان، لا بقوة السطة والسلطان.

واعجب ما جاء في كلام الجاحظ قوله « وعبتم علينا اِكْفارنا اياكم - الى قوله - : وانتم اسرع الناس الى اِكْفارنا » اذ يدل ان الشدة والعداء والحدة اصارت الفريقين الى استحلال ايقاع كل بالآخر ما يستطيعه من ضروب الايذاء بالقول والفعل، حتى صار يخيل للمرء ان ذات هذه المذاهب من شأنها ان تملأ قلوب ذويها بغضا وتقارا من مخالفها، وانها منبت للائح، ومصدر للمحن والفتن. ولقد اثر هذا النبذ في اتباع الفريقين تأثيرا لم تحمد عقباه، اذ لا تمحوه من انفس كل منهم مرور الايام، ولا مرور الاعوام، ولما دام يقرأ في زبر كل فريق خلاف عقد الآخر، والتشنيع عليه، ولم يزعج من هذه الحفائظ والشحناء الا من نقض غبار التقايد، وأوى من الاجتهاد الى ركن شديد.

ولقد يعجب المرء من (احمد بن ابي دؤاد) وله من وفرة العقل، وكبر الفهم والنبيل، ما اصاره من افراد الرجال، كما يدريه من قرأ اخباره في مثل تاريخ

ابن خلكان ، ومع ذلك يغري الملوك بمن خالف مذهبهم ، ويسمى لديهم بما يعجل نكاحهم ، وقد اثر عنه من ذلك ماشوه وجه حياته ، وكسف شمس فضائله ، فقد بلغ به التعصب لمذهبه ما أضره يؤذي من أهل مذهبهم من يخالف بعض مسائل منه . ومن ذلك ما حكاه ابو الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني في اخبار سميد ابن حميد البغدادي الكاتب الشاعر المشهور ان اباة كان وجها من وجوه الممثلة تخالف احمد بن ابي دؤاد في بعض مذهبهم ، فأغري به المتعصب ، وقال إنه شعوبي^(١) زنديق ، فحبسه مدة طويلة ، ثم بانت براءته له او للوائق بعده ، فحلى سبيله ، وكان شاعرا ايضا ، فكان يهجو احمد بن ابي دؤاد بقوله :

لقد اصبحت تنسب في اباد * بأن يكنى ابوك ابا دؤاد
فلو كان اسمه عمرو بن معدي * دعيت الى زيد أو مراد
لئن افسدت بالتخويف عيشي * لما اصاحت عيشك في اباد
وانتك قد اصبحت طريف مال * فبخلك باليسير من التلاد

هذا ما قصه الاصفهاني ، وبه يظهر مبلغ تعصب ابن ابي دؤاد في مذهبهم ، حتى صار يستجمل لاجله الوشاية والسعاية بالارباب والالتقاء ،

(١) في الاساس : ناز شعوبي ومن الشعوبية ، وهم الذين يصفرون شأن العرب ، ولا يرون لهم نصلا على غيرهم : والشين مضمومة . وفي اتاج : قال ابن منظور : وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل المعجم حتى قيل لمختر امر العرب شعوبي اضافوا الى الجمع لقلبتهم على الجيل الواحد كقولهم انصاري اه وللإمام ابن قتيبة كتاب في الرد على الشعوبية سماه (كتاب العرب) ظفرت بكراريس من أوله مخطوطة ، وقد نشرناها في مجلة المقتبس في الجزء (١١) من المجلد (٤)

ولقد آذى بذلك نفسه فاصبح ممقوتا منسي الفضائل على كثرتها فيه ، حتى قال عنه الذهبي في الميزان : جهمي بغيض

وحكي السبكي في ترجمة محمد بن الحسن البجاث من كبار قضاة الشافعية : أن الصاحب بن عباد عرض عليه مرة القضاء ، على شرط اتعجال مذهبه — يعني الاعتزال — فامتنع وقال : لا أبيع الدين بالدنيا : فتمثل له الصاحب بقول القائل :

فلا تجعاني للقضاة فريسة * فان قضاة العالمين لصوص
مجالسهم فينا مجالس شرطة * وايديهم دون الشصوص شصوص^(١)
فأجابه البجاث بديهة بقوله :

سوى عصابة منهم تخص بعفة * ولله في حكم العموم خصوص
خصوصهم زان البلاد وانما * يزين خواتيم الملوك فصوص
وهذا ايضا مما يستنكر من مثل الصاحب ، وهو ما هو . ولقد قال عنه الثعالبي في اليتيمة : ليست تحضرنى عبارة ارضاها للافصاح عن علو محله في العلم والادب ، وجلالة شأنه في الجود والكرم ، وتفرد به بغايات المحاسن ، وجمعه اشتات المفاخر ، الخ . ومع هذا فهو يحول دون ذوي الكفاءة في القضاء الا بتقليدهم مذهبه ، ولكن لا عجب مادامت مسائل المذاهب صارت عند مقلديها عقائد ، والمعتقد لا يرفع لسوى عقيدته رأسا ، ولا يقيم لغيرها وزنا ، ولا يعير لمخالفه اذنا ، وبالله التوفيق

وقد اشار لضروب اضطرادهم ، وما آلت اليه عاقبة امرهم ، الامام تقي

(٢) جمع شخص (بالكسر) حديدية عفاء يصاد بها السمك (ويفتح) والشص

الدين ابن تيمية رحمه الله ، في خلال فتوى له بقوله : وقد اشتهر الامام احمد بمحنة هؤلاء الجهمية فاهم اظهروا القول بانكار صفات الله تعالى وحقائق اسمائه ، وان القرآن مخلوق ، حتى صار حقيقة قولهم تعطيل الخالق سبحانه وتعالى ، ودعوا الناس الى ذلك ، وعاقبوا من لم يحبهم اما بالقتل واما بقطع الرزق ، واما بالزل عن الولاية ، واما بالحبس والضرب ، وكفروا من خالفهم ، فثبت الله تعالى الامام احمد حتى اظهر الله به باطلهم ، ونصر اهل الايمان والسنة عليهم ، واذلهم بعد العز ، واخملهم بعد الشهرة ، واشتهر عند خواص الامة وعوامها : ان القرآن كلام الله ، غير مخلوق ، واطلاق القول ان من قال انه مخلوق فقد كفر به وما كان مغنى الفئتين عن الغلو والفتون ، فانا لله وانا اليه راجعون

(١٢) ما نتج من تعصب الجهمية والاثرية وبيان آفة الغلو في التعصب (قال الامام الغزالي) في احياء علوم الدين : واما الكلام — اي علم الكلام — فقصوده حماية المعتقدات التي نقلها اهل السنة من السلف الصالح لا غير

(ثم قال) ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ، ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامي ، وذلك لا ينفع الا مع العوام ، قبل اشتداد تعصبهم . واما المبتدع بعد ان يعلم من الجدل ولو شيئاً يسيراً ، فقل ما ينفع معه الكلام ، فانك ان اخطته لم يترك مذهبه ، واحال بالقصور على نفسه ، وقدر ان عند غيره جوابا ما ، وهو عاجز عنه ، وانما انت ملبس عليه بقوة المجادلة . واما العامي اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن ان يرد اليه بمثله قبل ان

يشد التعصب للاهواء ، فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم ، اذ التعصب سبب يرسخ العقائد في النفوس ، وهو من آفات علماء السوء ، فانهم يبلغون في التعصب للحق ، وينظرون الى المخالفين بيمين الازراء والاستحقار ، لتذمعت منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة ، وتتوفر دواعيهم على طلب نصرة الباطل ، ويقوى غرضهم في التمسك بما نسبوا اليه ، ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح في الخلوة لافي معرض التعصب والتحقير ، لانجحوا فيه ، ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ، ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم ، اتخذوا التعصب عادتهم وآتهم ، وسموه ذبا عن الدين ، ونضالا عن المسلمين ، وفيه على التحقيق هلاك الخلق ، ورسوخ البدعة في النفوس اه

(وقال الغزالي) رحمه الله ايضا - في الجدل المذموم ومضراته : وله ضرر آخر في تاكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة ، وتثبيتها في صدورهم ، بحيث تنبت دواعيهم ، ويشد حرصهم على الاصرار عليه (قال) ولسكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يشور من الجدل ، ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن ان يزول اعتقاده باللطف في اسرع زمان . الا اذا كان نشوءه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب ، فانه لو اجتمع عليه الاولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره ، بل الهوى والتعصب وبعض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ، ويمنعه من ادراك الحق ، حتى لو قيل له : هل تريد ان يكشف الله تعالى لك الغطاء ، ويعرفك بالعيان ان الحق مع خصمك ؛ لكره ذلك خيفة ان يفرح به خصمه (قال) وهذا هو الداء العظيم الذي استطار في البلاد والعباد ،

رر نوع فساد اثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره اه
وقال العلامة المقبلي في العلم الشاخر : واعلم ان الخلاف والتعصب
والتحزب هو الذي حمل سيوف بعض المسلمين على بعض ، وحلل دماهم
واموالهم واعراضهم ، وحرف الكتاب والسنة ، ثم صيرهما كالمدم بسد
باب الاجتهاد اه

(وقال ايضا) ثم ترتب على الافراق تقويم كل لعمود الشقاق ،
وصار كل منهم انما يعتر بمن مال اليه من الملوك على خصمه اه
وبالجملة فن اغظم آفات التعصب ما نشأ عنه من التفرق والتعادي ،
بحيث صار يرثه المتأخر عن المتقدم ، حتى اصبح يبغض القريب قريبه اذا
وجده يخالف رأيه ، ويلصق به كل تهمة شنعاء ولو اقام على صحة رأيه مئين
من البراهين ، بل بلغ احتقار بعضهم لبعض مبالغا دفع به الى ان يحق على
مخالفة ، ويتحين الفرص للايقاع به ، حتى اذا بدرت منه هفوة ، أو ظهرت
زلة — ولا معصوم الا من عصم الله — رفع مخالفه عقيرته بتأنيبه ، وملاً
الأرض والسماء صراخا بتشهيره ، غير مبال بما حظره الشرع مما يولد
البغضاء والشحناء ، ويفكك عرى الاخاء ، ولا ملام على الدهماء من ترويح
مثل هذه الخطة الشائنة لفرقهم في بحار الجهل ، وانما يلام قادة الافكار
على احتدائهم هذا الحدو ، ونسجهم على هذا المنوال ، اذ لولا صخب
هؤلاء الرهط ، وبثهم هذه الاقاب في النفوس ، لكانت الامة متماسكة
الاجزاء ، متينة عرى المحبة بين الافراد .

نعم لا بأس ان تنتقد الاقوال ، وتضعف بالبرهان ، ويوضح كل

خطأ ينجم عنها ، ولكن الذي يجب انتوحي منه هو ان يتشاحن قادة العقول ويتطاحنوا ويتبغضوا لما لا يصح ان يكون سببا معقولا ، وان يثب كل على مخالفه وثبة الغادر المتقم ، فيود ان ينكل به أو يمزقه شر ممزق ، فيقتني إثرهم مقلدهم ، فتصبح الامة اعداء متشاكسة ، واحزابا متنافرة ، بشؤم التعصب الذميم ، الذي لم يتمكن من امة الا وذهب بها مذهب التفرق والانحطاط ، واضعف قواها ، واحاق بها الخطوب والارزاء ، فمن الواجب العمل على ملاشاة الشحنة والشقاق ، والقيام بالتحاب والاتفاق ، وبالله التوفيق

(٣) حظر الائمة للمحققين ، رمي فرق المسلمين بالكفر والنسق

من اعظم ما بليت به الفرق الاسلامية ، رمي بعضها بعضا بالنسقي والكفر ، مع ان قصد كل الوصول الى الحق ، بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده ، والدعوة اليه ، فالجتهد منهم وإن اخطأ مأجور (وقد نقل شيخ الاسلام ابن تيمية) في كتابه موافقة صريح المعقول ، لصحيح المنقول (١) عن الامام الرازي (في نهاية العقول) في مسألة التكفير مامثاله :
« قال الشيخ ابو الحسن الاشعري في اول كتاب (مقالات الاسلاميين) :
اختلف المسلمون بعد نبينهم في اشياء ضلل فيها بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض فصاروا فرقا متباينين ، الا ان الاسلام يجمعهم فيجمعهم . فهذا مذهبه ، وعليه اكثر الاصحاب ، ومن الاصحاب من كفر المخالفين
» واما الفقهاء ، فقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه قال : لا أورد

{١} جزء ١ صفحة ٤٩ وما بعدها من الطبعة الاميرية على حاشية منهاج السنة

شهادة اهل الاهواء الا الخطائية ،^(١) فانهم يمتقدون حل الكذب . واما ابو حنيفة رضي الله عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن ابي حنيفة انه لم يكفر احدا من اهل القبلة . وحكى ابو بكر الرازي عن الكرخي وغيره مثل ذلك .

« واما المعتزلة ، فالذين كانوا قبل ابي الحسين تحامقوا وكفروا اصحابنا في اثبات الصفات وخلق الاعمال . واما المشبهة فقد كفرهم مخالفوم من اصحابنا ومن المعتزلة ، وكان الاستاذ ابو اسحق يقول : اكفر من يكفرني ، وكل مخالف يكفرنا فنحن نكفروه والا فلا »

ثم قال الرازي : « والذي نختاره ان لانكفر احدا من اهل القبلة والدليل عليه ان نقول المسائل التي اختلف اهل القبلة فيها مثل ان الله تعالى هل هو موجود لافعال العباد أم لا ؟ وانه هل هو متحيز ، وهل هو في مكان وجهة ، وهل هو مرئي أم لا ؟ لا يخلو اما ان تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها اولا تتوقف ، والا اول باطل ، اذ لو كانت معرفة هذه الاصول من الدين ، لكان الواجب على النبي صلى الله عليه وسلم ان يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل ، بل ماجري حديث من هذه المسائل في زمانه عليه السلام ، ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، علمنا انه

(١) فرقة من غلاة الشيعة منسوبة الى ابي الخطاب محمد بن مقلص كان فبجه الله من الغلاة في جعفر الصادق عليه السلام ادعى له علم الغيب وغير ذلك حتى لعنه الصادق مرارا لفساد عقيدته وخبثه وكذبه عليه وقد تبرأ الصادق عليه السلام منه ، ومن أراد الوقوف على اخبار ابي الخطاب فليرجع الى كتاب رجال الشيعة للكشي فقد اسهب في شأنه في عدة اوراق اه

لا يتوقف صحة الاسلام على معرفة هذه الاصول ، واذا كان كذلك لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحا في حقيقة الاسلام ، وذلك يقتضي الامتناع من تكفير اهل القبلة « اه

ثم قال الامام ابن تيمية بعد ذلك : «والاصل في هذا الباب ان الالفاظ نوعان مذكور في كتاب الله وسنة رسوله وكلام اهل الاجماع ، فهذا يجب باعتبار معناه وتعليق الحكم به ، فان كان المذكور به مدحا استحق صاحبه المدح ، وان كان ذما استحق الذم ، وان اثبت شيئا وجب اثباته وان نفي شيئا وجب نفيه ، لأن كلام الله حق وكلام رسوله حق ، وكلام اهل الاجماع حق . ومن دخل في اسم مذموم في الشرع كان مذموما كاسم الكافر والمنافق والملحد ونحو ذلك ، ومن دخل في اسم محمود في الشرع كان محمودا كاسم المؤمن والتقي والصديق ونحو ذلك »

«واما الالفاظ التي ليس لها اصل في الشرع ، فتلك لا يجوز تعليق المدح والذم والاثبات والنفي على معناها ، الا ان يبين انه يوافق الشرع ، والالفاظ التي تعارض بها النصوص هي من هذا الضرب كلفظ الجسم والحيز والجهة والجوهر والعرض ، فمن كانت معارضته بمثل هذه الالفاظ لم يجز له ان يكفر مخالفه ان لم يكن قوله مما يبين الشرع انه كفر ، لأن الكفر حكم شرعي متلقى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفرا في الشرع ، كما انه ليس كل ما كان صوابا في العقل يجب في الشرع معرفته . ومن العجب قول من يقول من اهل الكلام : ان اصول الدين التي يكفر مخالفها

هي علم الكلام الذي يعرف بمجرد العقل ، واما ما لا يعرف بمجرد العقل فهي الشريعات عندهم ، وهذه هي طريقة المعتزلة الجهمية ومن سلك سبيلهم كاتباع صاحب الارشاد وأمثالهم فيقبل لهم : هذا الكلام يتضمن شيئين : احدهما ان اصول الدين هي التي تعرف بالعقل المحض دون الشرع . والثاني ان المخالف لها كافر ، وكل من التدمتين وان كانت باطلة ، فالجمع بينهما متناقض ، وذلك ان ما لا يعرف الا بالعقل لا يعلم ان مخالفه كافر الكفر الشرعي ، فانه ليس في الشرع ان من خالف ما لا يعلم الا بالعقل يكفر ، وانما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما اخبر به ، او الامتناع عن متابعتة ، مع العلم بصدقه ، مثل كفر فرعون واليهود ونحوهم ، وفي الجملة فالكفر متعلق بما جاء به الرسول لا بمجرد ما يعلم بالعقل ، فكيف يجوز ان يكون الكفر بامور لا تعلم الا بالعقل ؟ الا ان يدل الشرع على ان تلك الامور التي لا تعلم الا بالعقل كفر ، فيكون حكم الشرع مقبولا ، لكن معلوم ان هذا لا يوجد في الشرع بل الموجود في الشرع تعليق الكفر بما يتعلق به الايمان ، وكلاهما متعلق بالكتاب والرسالة ، فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته . ومن تدبر هذا رأى اهل البدع من النفاة يتمدون على مثل هذا فيبتدعون بدعا بآرائهم ، وليس فيها كتاب ولا سنة ، ثم يكفرون من خالفهم فيما ابتدعوه ، وهذا حال من كيفر الناس بما اثبتوه من الاسماء والصفات التي يسميها هو تركيبا ونجسها واثباتا لحوال الصفات والاعراض به ونحو ذلك من الاقوال التي ابتدعها الجهمية المعتزلة ثم كفروا من خالفهم فيها ، اه كلام الامام ابن تيمية رحمه الله

ولب هذا كله قوله « فلا ايمان مع تكذيب الرسول ومعاداته ، ولا كفر مع تصديقه وطاعته » وما ذكره ونقله قبل هو الفیصل في هذا الباب

وقال رحمه الله في شرح الاصفهانية : « خاصة اهل السنة المتبعين للرسول صلى الله عليه وسلم هي انهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاد ، حيث عذره الله ورسوله » اه وانما رحمه لانهم تجمعهم معه اخوة الايمان ، وقد قال تعالى « رحماء بينهم » فالمؤمنون مهما اختلف اجتهادهم ، وتباينت مداركهم ، فهم اخوة يتراحمون ، يتآفون ولا يتباغضون ، ولا يلزم من اختلاف الرأي اختلاف القلوب ، وبالله التوفيق

(١٤) بيان انه لا تضليل ، لمن اصاره اجتهاده الى التأويل

قدمنا أولا انالم زرد في هذه الورقات ذكر عقائد الجهمية والمعتزلة ، ولا مناقشتهم ، لان لذلك مواضع معروفة ، لاسيما وهذا المقام طول الدليل ، متشعب المناحي ، ويكفي انه لأجله صنف ودوّن علم الكلام ، وانما اردنا تعرف شأن هاتين الفرقتين من الوجهة التاريخية ، وقد اتينا على جل منها

بقي التنبيه على النصفة مع مجتهدى فرق الاسلام ، ومجافاة التضليل عن كل من التزم قانون التأويل ، فنقول : قد وقر في قلوب كثير من الناس رمي أمثال المعتزلة بالمروق والضلال والزيغ ، نقليدا لمن ينزهم بذلك من حشوية المتفهمين ، وهذا من اغرب الغريب ، اذ كيف يصح هذا وكان القائمون بمذهب المعتزلة خفاء الاسلام في العهد العباسي ، وقضاتهم

وعدة من علمائهم؟ وهم يحتجون لما يدعون، ويبرهنون على ما يذهبون،
لاجرم انهم - وان اخطأوا - لم يجتهدون

ومما يدل على ان هذا العقد بلغ تمكن صحته من نفوسهم متناه من

اليقين حملهم الخلفاء على اكرام الناس عليه ابتغاء نجاتهم - بزعمهم -

بتصحيح عقيدتهم على ما يروى، وجلي ان كل من استدل على ما يراه،

واحتج على دعواه، فقد اذن باجتهاده فيه، ونحوى الحق فيما يقصده

وبينيه، فقصارى امره اذا نقض برهانه ودحضت حجته، ان يكون

مجتهداً مخضتاً، وهو معذور بل مأجور، اذ لم يرد الا الحق، فن ابن يسوع

بعد ذلك قرض الاعراض بالتضليل والنفسيق، وتشوير المنبوز على

المقابلة بالمثل بل الامثال، والخروج بالاقذاع عن آداب المناظرة والجدال

ان نبز الفرق المتجادلة بتلك الألقاب اوجب ان تصرف الالباب عن

الظرف في ادلة كل منها، لتزن المقبول منها بمعياره، والمردود بمقداره، لأنها

حاولت الضغط على الافكار، وحرمانها من حرية البحث والنظر والتأمل،

لتحملها على رأي واحد، ومذهب منفرد، وذلك ما كان ولن يكون

ان اختلاف الاراء لا يدعو بطبيعته الى الحفاظ والاضغان، وغرس

الاحقاد والشنان، ولكن اكثر الفرق استولت على مناظريها الضمائن،

فذهبت بهم مذهب التشفي والانتقام، هذه بالنز بالالقاب السوءى،

وتلك بها او بسلطتها الجائرة، واضطهادها لمخالفها بضروب العذاب

من عجيب امر التناز، ان الانغراق فيه قد يغري خلي الذهن

بالبحث عن المنبوز والتنقيب عنه، فيحمله على التأمل في مدركه، والتبصر

في ما أخذه، فربما انضم اليه وشايحه تقليداً أو نظراً واستدلالاً

فالتحاملون على فئة قد يحبون فيها من حيث يريدون التدفیر منها ،
ويجذبون اليها مما يأملون به الإبعاد عنها ، ويصدق فيهم قول القائل :
دع عنك لومي فان اللوم اغراء

هؤلاء المتحاملون يرون اعظم منفر عن خصومهم هو التدفیر ،
وفاتهم ان هذا لا يعني من البرهان ، ولا يجزئ من الحق شيئا ، بل قد
يكون من اعظم امانى الخصوم ، فان الفكر الذي يحارب بهذا الاسم ربما
يكون قد بلغ اشده واستوى ، ووصل الى اعماق الرسوخ ورسا .

ولما حاول اعداء حجة الاسلام الغزالي عليه الرحمة والرضوان رميه
بالكفر ، (نوما سهل رميهم به لامثاله) لمخالفته الاشعري اتدب لتأليف
كتاب يهدي الى حقيقة الكفر والزندقة ، سماه « فيصل التفرقة ، بين
الايان والزندقة » قال في خطبته : فهوّن ايها الاخ المشفق على نفسك ،
لا يضيق به صدرك ، وقل من غربك قليلا ، واصبر على ما يقولون
واهجرهم هجرا جميلا ، واستحقر من لا يحسد ولا يقذف ، واستصغر من
بالكفر والضلال لا يعرف (١)

ونقل الامام الغزالي ايضا في المستصفى ان عليا كرم الله وجهه
استأذنه قضائه في البصرة في القضاء بشهادة أهل البصرة من الخوارج
وغيرهم اوردها ، فامرهم بمقبولها كما كان قبل الحرب ، لانهم حاربوا على
تأويل ، وفي ردّ شهادتهم تعصب وتجدد خلاف اه فانظر كيف تسامح
مع أهل التأويل المبدعين وقبل شهادتهم وزكاهم وعدلهم ، فهل يصح

(١) يشير رحمه الله الى ان ذلك صار وقفا على اخيار العلماء واعلام الجهادية
الحكاه ، ولقد صدق رحمه الله وشاهده الاستقراء من لدن عصره وقبلة الى الآن

بعد هذا النبز بالتفسيق أو التذليل؟ حاشا وكلا! وهذا لمن عرف الرجال بالحق، لا الحق بالرجال، والله المستعان

(١٥) ما وصى به الأئمة من اطراح أقوال العلماء بعضهم ببعض، ومن التماس الحكمة أينما وجدت

روى الامام حافظ المغرب يوسف بن عبد البر في كتابه (جامع العلم وفضله) في باب حكم قول العلماء بعضهم ببعض عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: استمعوا علم العلماء، ولا تصدقوا بعضهم على بعض. وعنه رضي الله عنه قال: خذوا العلم حيث وجدتم، ولا تقبلوه قول الفقهاء بعضهم على بعض

وعن مالك بن دينار قال: يؤخذ بقول العلماء والقراء في كل شيء الا قول بعضهم في بعض

وعن عبد العزيز بن ابي حازم قال سمعت ابي يقول: العلماء كانوا فيما مضى من الزمان اذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم الغنيمة، واذا لقي من هو مثله ذا كرهة واذا لقي من هو دونه لم يزهة عليه، حتى كان هذا الزمان، فصار الرجل يعيب من هو فوقه ابتغاء ان ينقطع منه، حتى يرى الناس انه ليس به حاجة اليه، ولا يذاكر من هو مثله، ويزهى على من هو دونه، فهلك الناس

(قال الامام ابن عبد البر): لقد تجاوز الناس الحد في الغيبة والذم فلم يقنعوا بذم العامة دون الخاصة ولا بذم الجهال دون العلماء، وهذا كله

يحمل عليه الجهل والحسد . ثم قال رحمه الله : ومن صحت عدالته ،
وعُلمت بالعلم عنايته ، وسلم من الكبار ولزم المروءة ، وكان خيره غالباً ،
وشبهه أقل عمله ، فهذا لا يقبل فيه قول قائل لا برهان له به ، فهذا هو
الحق الذي لا يصح غيره ان شاء الله .

(وقال الذهبي) في ميزان الاعتدال - في ترجمة ابي نعيم احمد
الاعلام : صدوق تكلم فيه ابن منده بلا حجة كما تكلم هو في ابن منده
(قال الذهبي) ولا اقبل قول كل منهما في الآخر ، بل هما عندي مقبولان .
ثم قال : وكلام الاقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، ولا سيما اذا لاح لك
انه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينجو منه الا من عصم الله (قال) وما
علمت ان عصراً من الاعصار سلم اهله من ذلك سوى الانبياء
والصديقين ، فلو شئت لسردت من ذلك كرايس . اهـ

قال العلامة المقبلي : واشدها عداوة ما كان من قبل المذهب لانه يزعمه
ديناً ، ويمرن عليه فيغير نفسه انه دين ، وحظ الهوى في ذلك أوفى واوفر ،
نسأل الله العافية وان يجعلنا ممن خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .
وروى الامام ابن عبد البر في كتاب (جامع العلم) في باب الحال
التي يتال بها العلم ، عن علي كرم الله وجهه قال : العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو
من ايدي المشركين ، ولا يأب أحدكم ان يأخذ الحكمة ممن سمعها منه . وعنه
كرم الله وجهه قال : الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في ايدي الشرط .

وروى ابن عبد البر قبل هذا الباب عن ايوب قال : انك لا تعرف
خطأ معلمك حتى تجالس غيره ، وعن علي رضي الله عنه قال : ان الناس
ابناء ما يحسنون وقدر كل امرء ما يحسن ، فتكلموا في العلم تتبين اقداركم .

(قال ابن عبد البر) : ان قول علي بن ابي طالب « قيمة كل امرئ ما يحسنه » لم يسبقه اليه احد (قال) وقالوا : ليس كلمة احض علي طلب العلم منها (وقالوا) ولا كلمة اضر بالعلم والعلماء والمتعلمين من قول القائل (ما ترك الاول للآخر شيئا) قال ابن عبد البر : قول علي رضي الله عنه « قيمة كل امرئ ما يحسن » موع الكلام المعجب الخطير ، وقد طار له الناس كل مطير ، ونظمه جماعة من الشعراء اعجابا به ، وكلفا بحسنه ، فمن ذلك ما يعزى الى الخليل بن احمد وهو قوله :

لا يكون السريّ مثل الدنيّ * لا ولا ذو الذكاء مثل النبيّ
لا يكون الألدُّ ذو المقول المر (م) هفّ عند القياس مثل العبيّ
قيمة المرء كل ما يحسن المر (م) قضاء من الامام عليّ
وقال غيره :

يلوم علي أن رحمت للعلم طالبا
فيا لاثمى دعني اغالي بقيمتي
اجمع من عند الرواة زونه
فقيمة كل الناس ما يحسنونه
وقال ابو العباس الناشي :

تأمل بعينك هذا الأنا
فلية كل فتى فضله
مـ فكأن بمض من صانه عقله
على نسب ثابت أصله
فلا تتكل في طلاب العلا
بشيء يخالفه فعله
فما من فتى زانه قوله
ومما ينسب لعلّي رضي عنه :

الناس من جهة التمثال أكفاه
وانما امهات الناس اوعية
ابوهم آدم والأم حواء
مستودعات وللحساب آباء

فان يكن لهم من اصلهم شرف
وان اتيت بفخر من ذوي نسب
ما الفضل إلا لأهل العلم انهم
وقيمة المرء ماقد كان يحسنه
فقم بعلم ولا تبغ به بدلا
فالناس موتى واهل العلم احياء

وقد ورد في هذا الباب ما رواه الامام مسلم في مقدمة صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نزل الناس منازلهم : نسأله تعالى أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا انك رؤوف رحيم) في جمادى الاولى سنة ١٣٣٠

وقع في هذه الرسالة اغلاط مطبعية يعلم صوابها بالبداهة نذكر المهم منها وهي

مبينة بهذا الجدول

صفحة	سطر خطأ	صواب	صفحة	سطر خطأ	صواب
١٦	١ المناظر	المناظرة	٥٥	١٧ او ألا	أولا
٣٣	٤ وقد	قد	»	٢٠ بروى	ويروى
»	٧ الحديث	للحديث	٥٦	١٧ من بذلك	من رمي بذلك
»	٨ عمل	علم	٦٠	١٤ فتيين بما	فتيين لك بما
٣٧	١٨ التسع	التسبع	٦٤	١ لا تجاذبه	لا بما تجاذبه
٤٧	٣ أو مقلد	أو راهب من	٧٠	٧ للقضاء	للقضاء
»	»	نكالمهم، أو مقلد	٧٢	٧ الازراء	الازدراء
٤٨	٢١ فؤاد	وزن فواد	٧٤	٩ للمحققين	المحققين

عقيدة الصلب والفداء

رسالة منقولة عن مجلة المنار قد ألت بموضوع « عقيدة الصلب والفداء » من جميع أطرافه وبيته بياناً بالأبحاث العقلية والنقلية بحيث لم يبق لطالب الحقيقة بد من الاعتراف بالحق الصراح في هذه العقيدة التي كثر فيها البحث في هذه الايام، وتطلب الرسالة من إدارة ومكتبة المنار بشارع عبد العزيز بمصر ونمها ٢٠ مليماً واجرة البريد ٦ ملاليم وللخارج القطر ١٢ مليماً

﴿ دين الله في كتب أنبيائه ﴾ .

كتاب جمع شبهات دعاة النصرانية كلها وردھا بأضع الأدلة وأورده على أولئك الدعاة من الحجج العقلية والنقلية من كتبهم ما يزهد الباطل، تأليف العالم البعثة الدكتور محمد توفيق صدقي اقندي صفحاته ٢٣٢ ونمها خمسة قروش وأجرة البريد قرش واحد وللخارج قرشان ويطلب من إدارة ومكتبة المنار بمصر

اعلان.

تعان مطبعة المنار انها مستعدة لطبع الكتب والجرائد وجميع أشغال المحامين والجوابات والظروف وبطاقات الزيارة « كارت فيزيت » والملاحق وسائر المطبوعات بالعرية والافرنجية مع الاتقان والنظافة واعتدال الاجرة . والمخارة تكون بهذا العنوان (السيد صالح مخلص رضا الحسيني مدير مطبعة مجلة المنار بمصر)

